ملحق مشروع بناء السلام في لبنان

UNDP
Empowered lives. Resilient nations.
UNITED NATIONS DEVELOPMENT GROUP
Lebanon Recovery Fund
The Government of Germany
من الشعب الياباني
From the People of Japan

طرابلس

عدد خاص عن مدينة طرابلس، آذار 2015
Special issue, March 2015

ملحق خاص

يصدر عن مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتمويل من الصندوق اللبناني للنهوض - ألمانيا واليابان ويوزّع مع صحيفتي «النهار» و«السفير» بناءً على مذكرة تفاهم وقّعها البرنامج مع الصحيفتين. يصدر المشروع النسخة الإنكليزية المترجمة منه مع جريدة The Daily Star.



© محطة القطار القديمة، الصورة من الكتاب الذي أصدرته جامعة البلمند في العام 2011 بعنوان "طرابلس، مدينة كل العصور"



مدينة الخبز والملح



«خطاب الحجر» الأكثَر رسوخاً والأعظمُ إفصاحاً!

طرابلس بوابة الى لبنان موحّد

إنه لمن دواعي سروري أن أضع اليوم بين أيدي قرائنا عدداً خاصاً بمدينة طرابلس، تنبع أهميته من الدور الذي أدته هذه المدينة على مرّ التاريخ في ترسيخ الوحدة الوطنية في لبنان.
وكانت طرابلس قد شهدت خلال العام الماضي صدامات عنيفة، ومن ضمنها مؤخراً تفجيرا جبل محسن المأسويان، وهذا ما دفع بالبعض إلى الخوف من أن تكون مثل هذه الحوادث شرارةً لاندلاع حرب أهلية فيها. إلاّ أن أهاليها قاوموا هذه الاستفزازات، وتمسّكوا برغبتهم في مواصلة العيش بتناغم وسلام ما يعكس مرونة الشعب اللبناني بأسره. وهذا الأمر يتوافق مع الهدف الذي كشف عنه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في بيان المهمة العالمي الذي اعتمده مؤخراً تحت شعار: «شعوب متمكنة، أمم صامدة».
يسلّط هذا الملحق الضوء على الحقائق التاريخية والوطنية والاجتماعية لطرابلس والتي تشوّهها غالباً تصنيفات غير صحيحة لها كبؤرة للعنف والقتال إن لم تكن للإرهاب. وفي واقع الأمر، تبقى هذه المدينة من بين المدن اللبنانية التي حافظت على طابعها الأصلي المتجذّر في التاريخ العربي، فضلاً عن كونها مركزاً اقتصادياً مهماً في لبنان الشمالي حيث لا تزال المناطق المحيطة بها تعتمد عليها في أعمالها التجارية اليومية. فهي تشكّل بأحيائها وبأسواقها الشعبية ملتقى حقيقياً يجتمع فيه أشخاص من أوساط اجتماعية ودينية مختلفة يحوّلونها مساحة نابضة بالحياة.
وعلى الرغم مما تقدّم، تعاني المدينة من مستوى فقر هو الأعلى في لبنان، لذا، لا تزال الحاجة ملحّة إلى إحياء مشاريع كبرى فيها على غرار المرفأ ومعرض رشيد كرامي الدولي. وهي تفتخر باحتضانها مواقع ثقافية وتاريخية تستحق اهتماماً عاجلاً للمحافظة عليها وإعادة تأهيلها والترويج لها.
وفي منطقة تعجّ بالاضطرابات والثورات، لا ينبغي القول إن طرابلس مجرّد بوابة رئيسيّة إلى سوريا، وإنّما الأهم هو أنها بوابة إلى لبنان موحّد.

روس ماونتن

الممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة الانمائي في لبنان

لماذا اختيار طرابلس؟

أؤيّد تأييداً كاملاً قرار فريق التحرير اختيار طرابس محوراً رئيسياً لملحق الجريدة حول «مشروع بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي. فهذه المدينة تتمتّع بتاريخ غني يعود إلى أيام البحارة الفينيقيين. وهي في الوقت نفسه ثاني أكبر مدينة في لبنان، وذات طابع عصري مع إمكانات سياسية واقتصادية وثقافية كبيرة، فضلاً عن مواقعها التراثية المهمة، وشاطئها الذي ينقل هذه الميزات عبر البحر المتوسط.
في الواقع، تواجه طرابلس تحديات هائلة مرتبطة بقضايا الأمن، والاقتصاد، والتنمية، واللاجئين، فضلاً عن قضية مهمة أخرى هي البطالة ذات النسبة المرتفعة بين الشباب. ويرتبط جزء كبير من مشاكلها بالنزاع الدائر في الجارة سوريا، وبعض هذه المشاكل لا يمكن إيجاد حل جذري له إلاّ بعد وقف إراقة الدماء في هذا البلد. وما من شك في أنّ مستقبلاً رائعاً ينتظر المدينة. فكلّ من يزورها يتمتع بحسن ضيافة أهلها، وقدراتهم، وروح المبادرة التي يتحلّون بها، وجودة منتجاتهم.
وبصفتي ممثلاً عن مساهم أساسي في البرامج التي ينظمّها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في طرابلس، أستغلّ هذه الفرصة لأجدّد التأكيد لسكانها على تضامن بلادي معهم ودعمها المتواصل لهم.

كريستيان كلاجس

سفير جمهورية ألمانيا الفيدرالية في لبنان

خطة تنمويَّة لطرابلس

تشير إحصاءات قامت بها الأمم المتحدة إلى أن 57 في المئة من سكان طرابلس هم من الفقراء أو المحرومين، علماً أن الوضع تدهور فيها مؤخراً نتيجة للحرب الدائرة في سوريا. لكن المدينة تتمتع بإمكانات كبيرة تخوّلها أن تصبح على درجة عالية من التطوّر في المستقبل، إذ أنها تمتلك مرفأً يعدُّ الأكبر في شرق البحر المتوسط، كما أنها تتمتّع بتاريخ عظيم كونها اعتُبرت المركز التجاري الأكثر ازدهاراً في المنطقة.
نحن نعتبر أن دعم خطة التنمية لإعادة إحياء الميّزات التاريخيّة لطرابلس أمرٌ أساسيّ. فإلى جانب زيادة المساعدات الإنسانية لتخفيف العبء الإضافي المترتّب من جراء تدفّق اللاجئين السوريين، علينا أن ندعم صيد الأسماك، والقطاع الزراعي، وأعمال النجارة، فضلاً عن صناعات خفيفة أخرى، نظراً لأنها معدَّة للتصدير ومن شأنها خلق فرص عمل جديدة. فأنا على ثقة بأن تحسين شروط توظيف الشباب هو الأساس في عملية تنمية شمال لبنان.
وأشير هنا إلى أن لدينا في اليابان العديد من المدن والقرى المهمّشة بسبب تقدّم سكانها في العمر وتناقص أعدادهم. ولهذا بادرنا إلى إطلاق حملة «إحياء مدننا» من خلال تحفيز روح المبادرة والعمل الجماعي. وتشجّع السلطات المحلية في هذه المدن والقرى مجموعات المتطوّعين وغرف التجارة الخاصة بالشباب على تنظيم فعّاليات ومهرجانات لتوسيع نطاق المساعدة المتبادلة وخلق جو أفضل من التواصل بين المجتمعات. ويجدر القول أخيراً أن قوّة الإقناع أساسية أيضاً لإعادة إحياء المدن.

سئيتشي أوتسوكا

سفير اليابان لدى لبنان

طرابلس... مدينتنا

ليست طرابلس الشام كما كانت تُدعى سابقاً. فالتاريخ تتبدل وقائعه وفق نظرتنا إليه، والجغرافيا تتبدل أيضاً فتنشأ دول، وتزول أخرى. والناس مهما كانت مناصبهم رفيعة، ومهما تضاعفت أموالهم، فهم إلى موت محتوم يتساوى فيه الغني والفقير.
إنها طرابلس العاصمة الثانية للبنان. هكذا عرفناها، وهي كذلك لأهميتها التاريخيّة، ولمساحتها، وعدد سكانها، وناسها، وصناعاتها، وتنوّعها.
طرابلس هي في حقيقة ناسها الذين لا يشكّلون بيئة حاضنة للارهاب أبداً، بل إن تلك البيئة على ضحالتها، هي حاضنة مستوردة من مناطق أخرى تعاني الفقر المزمن، وقد أتى أهلها إلى طرابلس فاستوطنوا أحياءها الفقيرة وضواحيها، ليشكّلوا، كما محيط بيروت قبل الحرب، زناراً مستقلاً قابلاً للتفجير.
وقد يكون الاهتمام بهؤلاء ضعيفاً بل معدوماً، لأنهم لا يقترعون في المدينة، حالهم كحال معظم السكان الوافدين إلى المدن. فالرعاية لا تشملهم إلّا في حدها الأدنى ما داموا ليسوا أصواتاً تفيد في الصناديق الانتخابية.
لكنّ القادرين والفاعلين والمتموّلين من أبناء عاصمة الشمال أخطأوا كثيراً بإهمالهم ضواحي الفقر، لأنها تحوّلت بؤراً أمنية، وصار أهلها قادة محاور، يتقاتلون في ما بينهم ويقتلون، لكنهم أيضاً يدمّرون المدينة بشراً وحجراً، ويجعلون من القادرين والفاعلين رهينة لديهم، كما يحصل عندما يجتمع وزراء ونواب إلى عدد من «قادة المحاور»، ويتمنون عليهم وقف القتال مقابل بدل.
طرابلس، كما بيروت، وزحلة، وصيدا، هي مدينتنا، مدينة لبنانية، وإن قصّرت الدولة فيها، كما في كل مكان، فإن أهلها قصّروا كثيراً، وتراجعت فاعليتهم، بل إنهم انكفأوا فساهموا في رسم صورة مغايرة لمدينتهم، مدينتنا.

غسان حجار

مدير تحرير صحيفة «النهار»

سامحيني!

أنا صحافيّة منذ العام 1991. مذّاك، كلّفت عدداً لا أذكره من الزملاء الصحافيين والمصّورين بموضوعات من الشمال وعنه وله. من طرابلس والمنية، والضنيّة والمينا، والبدّاوي ونهر البارد. من عكّار وجبل أكروم والقمّوعة. من الأرز وزغرتا وبشرّي. من الكورة ومن قضاء البترون.
أنا صحافيّة لبنانيّة، زرت دولاً لا تحصى في القارات كلّها تقريباً... الصين، اليابان، الولايات المتحدة، ومعظم أوروبا، وبعض أفريقيا، وغالبيّة الدول العربيّة طبعاً.
أنا صحافيّة لبنانيّة، أقترب من عامي السابع والأربعين، وأعترف بخجلٍ وبحزنٍ عميقين بأني لم أزر طرابلس يوماً كما يجب، ولم أعرفها كما عرفت الكثير من المدن البعيدة.
أنا، التي بحكم المهنة والسنّ والنشأة، أحسب نفسي بعضاً من طرابلس... أعترف بأنّي لا أعرفها.
فكيف حال معظم الملايين الأربعة الآخرين؟
يحدّثني أبي عن طرابلس.
عاش في قلبها وفي كل ما يجاورها، فوظيفة جدّي العسكريّة أتاحت له معرفة مناطق بلاده كلّها.
في المدرسة، وفي الجامعة، ثم لاحقاً في عملي، كانت صداقاتي مع الآتين من الشمال عموماً، وطرابلس خصوصاً، كثيرة.
متعلّمون، أبناء آباء متعلّمين، تميّزوا في المدرسة، وفي الجامعة وفي العمل، بمستوى إتقانهم وعلمهم، ومدى جديّتهم وتعلّقهم بالمعرفة والتعلّم.
معظمهم سافر لإكمال الدراسة في الخارج. بعضهم عاد، وغالبيتهم لم تعد تجد لها مكاناً في بلاد الأرز...
منهم، بتّ أعرف اللّكنة جيداً، وكذلك العادات، وأماكن المدينة المميّزة...الكورنيش والمقاهي، السوق القديمة ومن فيها من صنّاع الصابون والنحاس والحرفيين، ودور السينما اليتيمة التي ربّما أقفلت أبوابها اليوم.
قرأت كثيراً عن الفقر الذي يلّف المدينة، عن باب التبّانة وجبل محسن ومآسي كل من المنطقتين وغيرهما.
رأيت صوراً لظواهر لم أكن أعلم أنّها موجودة في بلادي، على الرغم من كوني ابنة منطقة مهملة وفقيرة هي البقاع.

هنادي سلمان

مديرة تحرير صحيفة «السفير»

ثمة رحلة ممتعة في مدينة «أم الفقير»

صهيب أيوب

يتوقف «الفان» وهو يصدح بصوت المغني الشعبي علي الديك أمام بسطة «أبو عرب». تطل علينا «شاليهات» سياحية تحوّلت بعد الحرب من مصانع شغّلت مئات من سكان التبانة والجوار إلى منتجعات بحرية. يُصدم صديقي الآتي من بيروت برفقتي لأن أول ما يلمحه زائر المدينة الأفقر في لبنان هو هذا المشهد الزاهي.



© نذير حلواني

يشتري السائق فنجان قهوة، ثم يسأل بصوت أجوف الصبي البائع أن يوزع فناجين أخرى علينا. «رش قهوة للشباب»، يقولها وهو يلتفت ليطمئن إلى أن الجميع حصل على فنجانه، وهي عادة لطيفة من السائقين حين يجدون زواراً «غرباء» في فاناتهم.

تطلب سيدة أربعينيّة من السائق إنزالها في «ساحة الله». تقولها وهي تمطّ صوتها فيعرف الجالسون أنها ربما من بشري أو زغرتا، لأنهم يسمّون ساحة عبد الحميد كرامي بـ«ساحة النور». يترجل صديقي وهو يحاول أن يلتقط بعينيه مشاهد كثيفة لمدينة يعيش أهلها على الهامش، وينساها الإعلام ويربطها بالتطرّف. يسحره مشهد بائع السوس والخرنوب وهو يمر خفيفاً مع «طرطقته» بين جمع المارة. يوقفه ليلتقط له صورة «ع الماشي»، فيما الرجل يهمّ بإعطائه كوباً وهو يقول له بلهجة طرابلسية «بتنوّر مدينتك».

يشتري مرافقي كعكة بالجبنة من أبو محمد، وهو بائع عجوز يضع عربته على مدخل الساحة. يطلب البائع ألف ليرة فيدفع له متعجباً، وهو يؤكد لي أن الكعكة في بيروت يصل سعرها إلى 3 آلاف ليرة. وهنا أخبره أن تسمية «أم الفقير» لم تأتِ عبثاً.

نكمل سيرنا إلى ساحة التل حيث يصدح صوت صباح من أمام سينما «ريفولي». ندلف بهدوء بين المحال وضجيج باعتها، إلى مقهى التل العليا. نجلس تحت فيء شجرات معمَّرة. نطلب كوبين من الزهورات ونرجيلة «عجمي»، ثم أُخرج كتابي وأقرأ، فيما يتلهّى مرافقي بالاستمتاع بفيء الشجر والنظر إلى الجالسين حولنا، حيث أساتذة الجامعات وبعض الصحافيين وروّاد من مناطق شمالية مجاورة يجلسون إلى طاولات الزهر، ويلعبون بورق الشدّة.

نتعرّف إلى بلال، وهو شاب آتٍ من جبل محسن، فيخبرنا أن هذا المقهى هو المفضل لديه، فقد صار يخاف الجلوس في مقاهي الجبل بسبب التفجيرين الانتحاريين. ويقول إن «طرابلس مدينة للجميع»، ولا يشعر بأنه «غريب»، ثم يدعونا إلى زيارة منطقته، مؤكداً أنها «مفتوحة لكم ولأهل مدينتنا».

نترك المقهى لنسير ثلاثتنا نحو الأسواق. نمر باتجاه السوق العريض، ونعبر سوق الذهب. ومن هناك نصل إلى خان الخياطين. تجذب مرافقي رائحة الصابون من خان «شركس»، فيشتري منه. نمشي قرب نهر أبو علي. يقف مذهولاً أمام منازل وأحياء حارة «البحصة» المطلة على النهر، والتي كانت تشكل «مشتى» لأهالي زغرتا وإهدن.

«كانت المدينة مختلفة»، يعلّق بائع ثياب في سوق «البالات». يروي لنا عن حياة هذا الحي الذي كان مقصد الزغرتاوية، ويعنّ في رأسه أن يستذكر لنا زمن «الطوفة»، وهو إشارة إلى تاريخ طوفان النهر في عام 1955. نمشي معه، نتوقف قليلاً أمام بسطة «أبو الفقراء». نشتري بعض الأحذية الشتوية، ثم نقرر العودة على أقدامنا لتناول الغداء وهو يودعنا بابتسامة خجولة.

نصل إلى ساحة الكورة، وندخل مطعم «جمول»، الذي يعود بناؤه إلى عام 1936. نأكل ورق العنب والكبّة المشوية وبعضاً من الكفتة مع صحن «بابا غنوج». يفرح صاحبنا بالطعام الذي لم يكلفنا أكثر من 20 ألف ليرة.

ننطلق من بعدها إلى المدينة الحديثة. نخرج من وسطها العارم بضجيج الحياة والمارة، وسائقي التاكسي، ورائحة العطورات والأطعمة والبهارات، وعرق الماشين نحو أشغالهم أو تبطّلهم في حديقة «المنشية»، وتمريرهم الوقت حول بسطات القهوة ومحال بيع الألبسة والهواتف النقّالة. نخرج إلى مدينة ثانية، يفصلها عن الأولى شارع واحد يسمّى بـ«البولفار»، وهو امتداد للمدينة ونسيجها المجتمعي بين الزاهرية وشارع عزمي والضم والفرز، وصولاً إلى الميناء البحرية. نأكل حلوى الشميسة من محل «علماوية»، ثم ننتقل إلى الميناء. وعلى الكورنيش الهادىء نخرج برحلة بحرية عبر مركب صغير. يسقط الليل بضوء خافت على الناس وبيوتهم المتراكمة فوق بعضها البعض. يأخذنا السير إلى شارع يعقوب اللبّان، الشهير بـ«مينو». نقرر السهر في حانة «تيميز»، حيث ضجيج الموسيقى والرقص واحتساء الكحول. يتفاجأ صديقي على غفلة وهو يسأل: «في سهر بطرابلس؟»، أجيبه: «أطلب قنينة بيرة، وتسلّ بنهاية يومك الطرابلسي».



© أنور عمرو

طرابلس بين «الإعالة» و«النّكاية»

محمد أبي سمرا

تَشِيعُ عن طرابلس صورةٌ نمطية عامة تتعلق بهويتها وتراثها. تفيد هذه الصورة بأنها مدينة «إسلامية عريقة»، بل «الأعرق» في لبنان، وتكتسب معناها وقوتها من مقارنتها بصورة بيروت. فالصورة الشائعة عن بيروت في طرابلس أنها مدينة حديثة العهد، «هجينة» و«ضعيفة الهوية والتراث الاسلاميين»، وأنها انتزعت من طرابلس المكانةَ والتصدُّر منذ صارت هي عاصمة لولاية عثمانية في العام 1888.

لكن المحطة الأبرز لما يُعتبر «تهميشاً» لطرابلس ونزعاً لمكانتها وصدارتها، إنما هي إنشاءُ الانتدابِ الفرنسي دولةَ لبنان الكبير في العام 1920، وجَعْلُهُ بيروتَ عاصمةً للدولة الوليدة. وحتى اليوم لا يزال الطرابلسيّون يحملون في ذاكرتهم «جرح» ذلك التاريخ وآثاره وتبعاته: شعورهم بأن الدولة والحكومات اللبنانية المتعاقبة، همّشت مدينتهم وأهملتها، مع ريفها العكاري. وهم غالباً ما يعيدون ذلك إلى ما يشبه تمييز و«قصاص» تعرّضت لهما طرابلس لأن تاريخها وتراثها وهويتها جعلتها تميل إلى طلب الانضواء في كيانات وحدوية كبرى «سورية» و«عربية إسلامية»، أكثر من ميلها إلى «الالتحاق» بكيان صغير «هجين» و«مصطنع»، هو لبنان ودولته المستقلة.

شكّلت هذه الصورة والمشاعر الطرابلسية أرضاً خصبة للميول والمواقف السياسية للزعامات التقليدية في المدينة الشمالية. كما أنها لعبت دوراً راجحاً في طبيعة تكوّن الجماعات الأهلية العروبية والإسلاموية الطرابلسيّة، وفي سلوكها ومواقفها «المتصلّبة» سياسياً طوال تاريخ لبنان الحديث. و«التصلّب» السياسي الأهلي، «عروبياً» و«إسلامياً» سمةٌ من سمات طرابلس في زمن السلم والأزمات السياسية اللبنانية، كما في أزمنة الحروب الداخلية والإقليمية، وما يتلوها من حوادث واحتقانات أهلية وطائفية لا تزال تتناسل قوية حتى الآن في لبنان والمنطقة العربية.

ويظهر تميّز تاريخ طرابلس الحديث في عدد من الوقائع والمحطات:

- نشوء «إمارة إسلاميّة» أصوليّة مسلحة فيها بزعامة أمير «حركة التوحيد الإسلامي» الشيخ سعيد شعبان، ما بين العام 1982 والعام 1986. وقد تركت هذه «الإمارة» بصماتها في المجتمع الطرابلسي.

- تكاثر الجمعيات الأهلية والمعاهد الدينيّة الإسلاميّة في المدينة.

- استعمال المخابرات السورية لشراذمَ وسجناء وخلايا من إسلاميين أصوليين أو سلفيين في المدينة، لأغراض متنوعة، محلية وإقليميّة ودوليّة، تخدم السياسات الأمنية السورية في عهد «الوصاية» على لبنان وما بعده: «فتح الإسلام» نموذجٌ بارز في العام 2008.

- الشِّقاق الأهلي والحروب المديدة بين حيّين أهليين بائسين ومتقابلين ومنقسمين طائفياً في طرابلس: باب التبانة السنّي، والأشد فقراً واكتظاظاً في لبنان، وبعل محسن العلوي والفقير أيضاً. وتناسلت الثارات الحربية بين هذين الحيّين على خلفية مجزرة كبرى ارتكبها النظام السوري في باب التبانة في العام 1986.

- الثورة والحرب في سوريا وقتال «حزب الله» الى جانب النظام السوري «العلوي»، ساهما بقوة في تجدُّد الاحتقانات والصدامات الطائفية بين الحيين، وصولاً الى تبادل العمليات الانتحارية بينهما.

من هذه الوقائع - المحطات التي تميّز طرابلس، ومن شعور المدينة المديد بـ«التهميش» و«الغبن» و«الإهمال» في إطار الدولة اللبنانية، تنشأ خصوصية المعضلات والأزمات الداخلية المتجددة فيها. وهي تتخذ أشكالاً ومظاهر وصوراً كثيرة، حسب الظروف المحلية والإقليمية.

لكن أقوى هذه المظاهر والصور جذباً للرأي العام والإعلام المحلي والدولي، هو ما يتعلق بالحوادث المتصلة بشراذم من مجموعات سلفيّة جهادية. لذا شاعت للمدينة صورة إعلامية مضخّمة تعتبرها معقلاً لهذه المجموعات في لبنان.

لا شك في أن طرابلس مدينة «تقليدية» و«محافظة» اجتماعياً، أكثر من المدن الساحلية الإسلامية الأخرى في لبنان، وذلك بقدر ما هي راكدة اقتصادياً وعلى صعيد التنمية وفرص العمل. ففقراؤها المعدمون المكدّسون في أحيائها الأشد فقراً وبؤساً وكثافة سكنية (خصوصاً باب التبانة، المنكوبين، والقبة)، يعتمدون لسدّ الكثير من حاجاتهم الضرورية على نمطٍ من «الإعالة» الواسعة يتّبعه زعماء المدينة من الأثرياء الجدد الذين يقدمون مساعدات للأهالي، لتمتين زعامتهم نفوذهم الأهلي وتوسيع قواعدهم الانتخابية.

فلكلٍ من هؤلاء الزعماء جماعته بين فتوّات الأحياء وزمرهم المسلحة من الفتيان والشبان الغارقين في التذرّر والأمية والبطالة والانحراف والضياع والاحتقان المذهبي والعنف في باب التبانة. وهذا كله يتغذّى من الاحتقانات اللبنانية العامة ويغذّيها، بقدر ما هو متصل عضوياً في هذه الحقبة بالإحتقان المذهبي بين أهالي بعل محسن العلويين وأهالي باب التبانة السنّة. والإحتقان هذا تؤجّجه مشاركة «حزب الله» الشيعي في الحرب السورية وامتداداتها الإقليميّة الواسعة والمعقدة.

ولعل سياسات «حزب الله» في لبنان منذ العام 2005، وفي سوريا منذ العام 2011، هي ما يشكّل معيناً وباعثاً على الاحتقان المذهبي وعلى ظهور مجموعات وأفراد من السلفية الجهادية في طرابلس في المدة الأخيرة، وذلك نكاية بـ«الجهاد» المذهبي للحزب في سوريا.

معالم طرابلس الدينية

«خطاب الحجر» الأكثرُ رسوخاً والأعظمُ إفصاحاً!

د. مصطفى الحلوة

أن يتحاور إثنان من البشر، فلغةُ التواصلُ هي الكلام، وما قد يقومُ مقام الكلام!

وأن يُحاورُ الحجرُ الحجرَ، وهما قاب قوسين أو أدنى من بعضهما بعضاً، فنحنُ بإزاء «خطاب الحجر» ، وما أدراك ما «خطابُ الحجر!».

فإهرامات الفراعنة، على رُغم سكونها الدهري المطبق، تُخاطبنا عَبْرَ مسيرةٍ حضارية، ترقى إلى آلاف السنين، ولسوف يبقى خطابها قائماً إلى يوم الساعة!...

من هذا المنطلق، وعلى قاعدته، نتعاطى «خطاب الحجر» الذي تتلوهُ على مسامعنا مساجدُ طرابلس وكنائسُها الضاربةُ عمقاً في تاريخ المدينة.

«خطاب الحجر» في طرابلس، ما هو إلا ترجمةٌ أمينةٌ لخطاب الحياة اليومية الأنسيّ، خطاب العيش المشترك، لا بل العيش الواحد!

فأنت في مدينةٍ تُزنِّرها المساجد والكنائس، من أي الجهاتِ أتيتَها. بل تتربع المعالم الدينية في أسواقها الداخلية العتيقة، مملوكيةً وعثمانية، ولنجدُنا أمام «مُتحفٍ دينيّ»، قل نظيرُه، يُذكرُ فيه اسمُ الله ويُسبَّحُ بحمده!

ولا يمكن تعاطي الخطاب المزدوج، من لدن الحجر والبشر، إلا عَبْرَ الدور الذي أدّاهُ سحابة حقبٍ زمنيةٍ مُتعاقبة.

ولقد كان لعددٍ من معالم طرابلس الدينية، لا سيما كنائسها، أن تُصادِرَ بعضاً من المجال العام. فها هو «شارع المطران» ، يتخذ اسمه من مطرانية الموارنة «قلاّية الصليب» القائمة في هذا الشارع. وها هو «شارع الراهبات»، يستمد تسميتهُ من مدرسة الراهبات التي كانت تقبع في تلك المحلة. وها هو الشارع المسيحي الأبرز، «شارع الكنائس»، يستقي اسمه من الكنائس التي تتراصف، إلى بعضها بعضاً، وهي تعود إلى مختلفِ الطوائف المسيحية (الموارنة والأرثوذكس والكاثوليك واللاتين..). وها هي «حارة السيِّدة»، يلتصق اسمُها بالكنيسة التي بناها القائد الصليبي بوهيموند السابع في العام 1286م.

وتجسيداً لهذا الواقع الديني، منظوراً إليه عَبْرَ خطابي الحجر والبشر، كان للوزير الأديب رشيد درباس أن يقول: «... ما زال الأذانُ يرتفعُ في مآذن المساجد، فيدعو المطران شارعه للصلاة. وما زال شارع الراهبات ملء اسمه ومدرسته، يستقبل رنين النواقيس، فيوزع صداها على بنات طرابلس، من مختلف الملل»!

واستكمالاً، يُروى أن الأديب المهجري حبيب مسعود (ابن بشري) مرّ في العام 1948 في منطقة القبة (مختلطة دينياً)، فسمع نواقيس القبة تنشر نعي أحد وجهائها المسلمين، فهتف، كما أرخميدس: وجدتها، وجدتها!... وجدتُ ما كنتُ أتمناهُ. هذه نواقيس النصارى، تقرع حزناً على محمدي، وتشارك المسلمين في رُزئهم، وتنعى لمعاشر النصارى رجلاً صالحاً عبد الإله ذاته الذي يعبدون، ولكن بأسلوب آخر!».



© جامع العويصات، الصورة من الكتاب الذي أصدرته جامعة البلمند في العام 2011 بعنوان "طرابلس، مدينة كل العصور".

...وبكلمة، فإن أبناء طرابلس- كما أبناء ثغرها الميناء- هم أبناء كنائسها ومساجدها. ففي كل مسلم شيءٌ من كنيسة شرقيّة، وفي كل مسيحي شرقي شيءٌ من مسجد! واسألوا سيادة المطران جورج خضر (ابن طرابلس الأسواق الداخلية)، فلديه الخبرُ اليقين؛ واقرأوا كتابه «لو حكيتُ مسرى الطفولة»، فتتحققوا من «عبقرية المكان» التي تعتمل داخل ذلك المطران!

وعن حكايا الطرابلسيين مع معالمهم الدينية، فحدِّث ولا حرج!

يروي الياس غريِّب، الجد الأعلى لآل غريب (إحدى أعرق العائلات المسيحية في طرابلس) أنه عندما بُنيت كنيسة السيدة ومار نقولا في حارة النصارى سنة 1809، وكان قد تم تجاوز المرسوم السلطاني في البناء، توسّط الشيخ رشيد ميقاتي، أحد العلماء المسلمين، مع السلطة المحلية لتسهيل بنائها، على رُغم هذه المخالفة!

وفي حادثةٍ أكثر تعبيراً، فإن مفتي طرابلس محمد كامل الزيني، أصدر فتوى في العام 1824، بعدم جواز الصلاة في الجامع الأسعدي الذي بُني على أرضٍ غُصبت من آل غريِّب، وأمر بإعادة العقار إلى مالكيه. وقد دعا الطرابلسيون هذا الجامع بجامع الشوم (الشؤم) لسوء طالعه، وامتنعوا عن الصلاة فيه!

ولعل أكثر ما يُعزِّز من صُدقية «خطاب الحجر» أن بعض الكنائس والمساجد لا تكتفي بالتجاور، بل إن بعضها يتكئ على جدران بعضها الآخر! واقصدوا الجامع الحميدي، في منطقة خان العسكر، واقصدوا ميناء طرابلس، كي تستمعوا ملياً إلى «خطاب الحجر!».

ويحلو لي أن أشفع «خطاب الحجر» ، بخطاب بشري، بشهادة لشاعر الفيحاء سابا زريق (توفي 1974)، وهو يُشيد بزيارة وفد كبير من المسلمين في عيد الميلاد لمطرانية الروم الأرثوذكس:

قوموا أنظروا ثَمَّ أُعجوبةٌ
تكذِّبُ في الشرقِ ذاكَ المُحالْ
فإني رأيتُ ، وبي دهشةٌ
صليبَ المسيحِ بقلبِ الهِلالْ



© صياد يصلح شباكه في المينا، الصورة من الكتاب الذي أصدرته جامعة البلمند في العام 2011 بعنوان "طرابلس، مدينة كل العصور"

الحياة في طرابلس: مدينة الخبز والملح

د. جان توما

منذ البدء، كانت طرابلس مدينة مفتوحة على البحر. والبحر حمّال وجوه وجاليّات إلى الشاطئ، ومن المنطقي، إذاً، أن ترتبط هذه المدينة البحرية، على مرّ تاريخها المديد، بالوظيفة التي بُنيت لأجلها. من هنا تنوّعت فيهـا المجموعات السـكنيـة، عبر التـاريخ، من كنعـانيين وفرس وإغريق وسلوقيـين وقبائل عربية وافدة من إقليم حوران وغيره في سوريا.

كانت طرابلس[1] تتألف من ثلاثة أحياء: حي الصوريين وحي الصيداويين وحي الأرواديين. من هنا نرى عائلات كبيرة لُقّبت بأسماء «الصوري» و«الصيداوي» و«الأروادي»[2]، وتنتمي إلى جماعات دينية متنوّعة، وهذا يبرّر الاسم الذي اشتقّ من علاقة الترابط والتفاعل بين المدن الفينيقية الثلاث التي شاركت في تأسيسها[3].

من هنا، سنتناول في هذه العجالة صوراً عن مسرى الحياة الواحدة للنسيج الأهلي في مدينة الميناء، طرابلس التاريخية، كصورة عن نمط حياة أهل الفيحاء في تَوادّ ووئام من خلال تظهير أصالة الميناء، كما طرابلس، المتجذّرة في بساطة عيش ناسها، وفي انفتاحهم على الآخر، وفي تآلفهم، وفي قدرتهم على العطاء بغير مقابل.

ولتأكيد انفتاح الفيحاء على البنية الديموغرافية المستجدة، نشير إلى أنّ عدد سكان الميناء كان 13400 نسمة في عام 1932 (الإحصاء الرسمي الأوّل والأخير) بعدما كان 8535 نسمة في عام 1913. وقد ساهم في هذه الزيادة لسكان الميناء، ما وفد إليها من مهاجرين في تلك الفترة واستقروا فيها، كأهل جزيرة كريت والأرمن واليونانيين وغيرهم[4]. وهذا التراكم السكاني الوافد أكد سمة المدينة البحريّة المنفتحة، وقد برز بوضوح التزايد المطّرد لعدد الساكنين في الميناء نسبة إلى عدد المسجّلين في سجلاتها، كما أنّ فترة الحرب التي امتدت من عام 1976 إلى عام 1989 ساهمت في الزيادة الديموغرافية، حيث ارتفعت نسبة سكان الميناء نحو 43 بالمئة[5] بعدما قدم أبناؤها صورة حضاريّة عن رقيّهم، وانفتاحهم وقبولهم بالآخر المختلف عنهم، وأبرزوا مدينتهم كمدينة سكنيّة جاذبة وهادئة بامتياز.

هذا الثقل السكني الجديد لم يمنع تعمّق الناس في السكن أكثر في المنطقة القديمة حيث النسيج الأهلي الميناوي المتنوّع بعفويته على طول هذا الحي الاقتصادي، والذي يجتمع فيه الناس صباحاً للتبضّع وتوفير الحاجات الضرورية.

وقد رفع مجلس بلدية الميناء عام 2009 التخطيط عن أكثر من 500 عقار قديم[6] كي تبقى هويتها سالكة في الداخل بين أبناء المجتمع البحري الواحد، لتكون هذه المنطقة الرئة التي تتنفس بها المنطقة الغربية التي نشأت بعدما شُقّ شارعا «بور سعيد» و«مار الياس»، في عام 1954، الميناء إلى قسمين: قسم داخلي

---

1 -مدينة تشكّل، مع طرابلس البلدة، إلى جانب البداوي والقلمون «قضاء طرابلس» . غيّر المجلس البلدي اسمها من «الأسكلة» إلى « الميناء» بالقانون رقم 79/9 الذي وقّعه رئيس الجمهورية في 21 كانون الأول 1979، ومن «قرية» إلى «مدينة» عام 1996، بقانون رقم 507 نشرته الجريدة الرسمية في العدد 24 تاريخ 13 حزيران 1996.

2 - عبد الغني عماد: انتخابات بلدية الميناء 1998، دراسة سوسيولوجية مقارنة. طرابلس، دار الإنشاء، 2004، ص40 و41.

3 -يوسف كفروني، المدينة العربية. معهد العلوم الاجتماعية، الجامعة اللبنانية، مركز الابحاث في الجامعة، 2008، ص 106

4 - أنطون نعوم: الميناء في ذاكرة الغد. اللجنة العلمية لتطوير الميناء- دار الانشاء2001- ص:73

5 - حكمت شريف: تاريخ طرابلس الشام من أقدم زمانـها إلى هذه الأيام،1323 هـ 236 صفحة (مخطوط)، طبع وصدر عن دار الايمان ودار حكمت الشريف، طرابلس 73

6 - المرسوم رقم 665 تاريخ 7 تشرين الثاني 2008.

باتجاه لقمة العيش البحريّة، وآخر باتجاه المقلب الغربي حيث البنايات الجديدة.

من هنا، نرى إنسان المدينة القديمة ملتصقاً بالأزقّة الداخليّة ومكتفياً بها، فبنى مساجده وكنائسه[7] ومقابره (قبل أن تنتقل في عام 1875 إلى منطقتها الحالية لتبقى التسمية على الساحتين الرئيستين: ترب[8] الاسلام وترب المسيحية[9]). وهذا الاكتفاء ولّد التعاون الأهلي والتعاضد والتناصر حتى ساد القول السائر: «ابن مينتي». فترى المسيحيين يتبرعون مالياً لبناء مسجد عمر بن الخطاب[10] كما ورد في دفتر التبرعات الصادر عن لجنة بناء الجامع في الستينيات[11]، وترى المسلمين يسهمون يدوياً في ترميم الكنائس، كما جرى في بناء كنيسة النبي الياس، زمن الاقتتال الأهلي في جبل لبنان عام 1861، بعد عاصفة بحريّة كادت تودي بحياتهم[12]، ولعل هذا التكاتف هو وليد ملح البحر والسعي المشترك لاصطياد لقمة العيش من قاعه.

ثمّ إنّ المجتمع الميناوي الأصيل هو حرفيّ يدوي عتيق، هو الذي صنع الحجر الرملي، واشتغل بالكلس لدهان الحيطان، وصنّع أدوات البناء بمهارة. ولعلّ ذاكرة أبناء الميناء العتيقة وأرشيفها يبيّنان مهارة اليد الشعبية المتعاونة التي اشتغلت ببناء المساجد والكنائس، وفق الأساليب العمرانية القديمة كبناء القناطر وحجارة الزوايا وغيرها ، فها هو كبير البنّائين (شيخ المعمرجيّة) انطون الكيك، (1885-1981)[13] وهو لقب موثّق[14] من رئيس بلدية الميناء عبد الستار علم الدين في الثلاثينيات[15]، يبني الجزء المزيد على مئذنة الجامع الحميدي[16]، وها هو المعلم جرجس توما (1882 - 1933)[17] وعماله يشتغلون في جامع الأيوبيين[18] في الثلاثينيات في الحارة الجديدة. وهذا التلاقح العمراني انسحب على واجهة هيكل كنيسة مار جرجس المبنية عام 1735 حيث يبرز الفن الهندسي المملوكي عبر لعبة الرخام باللونين الأبيض والأسود.

هذا وقد اعتمد المهندسون المسلمون الكبار ومنهم

7 - الجامع العالي، جامع الحميدي، جامع غازي.. كاتدرائية مار جاورجيوس، وكنيسة سيدة النجاة...

8 - جمع التُّربة : التراب والقبر والمقبرة.(محيط المحيط، باب ترب).

9 -جان توما: الأرثوذكس بشراً وحجراً في الميناء، دار الكلمة، 1997 ، ص16.

10 - هو جامع الداكيز (عمر بن الخطاب)، بناه آحد افراد عائلة الداكيز، خلال العهد العثماني. وبعد هدمه خلال أحداث عام 1958، مع برج السرايا، أعيد بناؤه عام 1967، واطلق عليه اسم «جامع عمر بن الخطاب. (الميناء: مدينة البحر تروي قصتها! مطبعة ماب- طرابلس2000، ص39).

11 - بيان بالتبرعات والمصاريف لبناء جامع عمر بن الخطاب- 1969م 1389- هـ.

12 - جان توما: الأرثوذكس بشراً وحجراً، ص 80.

13 - من إخراج قيده العائلي.

14 - من أرشيف بلدية الميناء العام 1934.

15 - مواليد عام 1849، كان رئيساً لبلدية الميناء (1932 - 1934). عُمّر طويلاً. توفّي عام 1964.

16 - بُني عام 1902 على أنقاض أول مدرسة رسمية أنشأها الأتراك في الميناء (عبدالله كبارة، ص 39).

17 - من إخراج قيده العائلي.

18 - جامع الحارة الجديدة، بناه أحمد بن أحمد حسن المير الأيوبي العام 1930. (عبدالله كبارة، ، ص 39).



© فن تبييض النحاس، الصورة من الكتاب الذي أصدرته جامعة البلمند في العام 2011 بعنوان «طرابلس، مدينة كل العصور»

مثلاً زهدي عبس[19] (1911-1997) ومصباح حولا[20] (1888-1972) على اليد العاملة الماهرة من أبناء الميناء في الحنيات الأثريّة والبناء فوق الحجر الرمليّ الذي كان سائداً في بناء البيوت الميناويّة القديمة.

ومن مداواة الحجر إلى مداواة البشر يظهر في نهاية القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، طبيب شعبي يلتفّ حوله أبناء الميناء بمختلف شرائحهم، يداوي فقراءهم ويبلسم الجراح، هو الطبيب يعقوب لبان (1887 - 1968)[21] الذي خرجت المدينة، بشبابها وشيبها، في وداعه، وأصرّ أهلها على تكريمه لخدمته التي لم تميّز بين الناس، فجمعوا التبرعات وأقاموا له تمثالاً في عام 1971، اختفى زمن الحرب الأهلية ليعود إلى مكانه لاحقاً باحتفال رعاه رئيس الجمهورية، وشارك فيه أهالي الميناء كلّهم[22]. هذا التراث وهذا التاريخ التكاملي بين أبناء النسيج الأهلي هو الذي أبقى مدينة الميناء - ما عدا بعض الحوادث - واحة سلام ومحبة طيلة أيام المحنة اللبنانية.

وقد توطّدت هذه العلاقة بالعمل اليومي الذي يعرف الوجوه والأسماء. فأهل المدينة البحرية يعرفون بعضهم بعضاً ، يفرحون معاً، ويتألمون معاً، لأنَّ المجتمع البحريّ هو مجتمع ضيّق، والمقاهي البحريّة تستقبل الصيادين يوميّاً، فهذه مجالس عاديّة وتقليديّة، بعد العودة من رحلة متعبة، حيث يملأ البحر عيونهم أحلاماً ومشاريع... وخوفاً من الغد. من هذا البحر الزاخر بالعلم والآراء يأتي الشهيد الشيخ صبحي الصّالح[23] ليسأل خادم رعيّة الميناء المطران الحالي جورج خضر عن رأيه في مخطوطه حول النّظم الاسلاميّة، قبل أن يدفع به إلى الطبع[24]. كما أن المرحوم المفتي الشيخ منير الملك[25] كتب مخطوطاً في تاريخ الأيام وزمانها، مشيراً إلى المناسبات المسيحيّة انعكاساً لواقع علاقاته المميّزة مع أهل مينائه[26]، على اختلاف معتقداتهم لأنّه كان مرجعاً حقيقيّاً لهم. هذه العلاقات، كانت تقوم على احترام الإيمان المتبادل: فعن دور مدرسة مار الياس التي تأسست عام 1900، يقول الشيخ ناصر الصالح: «كان مدير المدرسة مكاريوس موسى (مدير مدرسة مار الياس من عام 1933 إلى عام 1957 – توفي عام 1964)[27] يؤمّن للتلاميذ المسلمين أداء صلاة الجمعة، في «مسجد الميناء الكبير»، فيصحبهم بنفسه أو يرسل معهم أحد المدرسين وكان كلّ طلبة صفّنا يحضرون درس الدين، من دون حرج، وكان مدرس الدين يومئذٍ الأب جورج خضر»[28]. وماذا نقول عن وفد كنيسة الأرمن الأرثوذكس في الشمال، وغالبية أبنائها الساحقة من الميناء، والذي أعلن أثناء زيارته لتهنئة مفتي طرابلس الجديد سماحة الشيخ مالك الشّعار[29]: «أنّ لا مطران لنا في طرابلس، ولتكن سماحتك مشرفاً على شؤوننا لثقتنا بك وبنهجك وأسلوبك». وكي لا يبقى هذا الموقف بروتوكولياً، أعلن الوفد الأرمني ذلك أمام الصحف ووسائل الإعلام[30]. واستطراداً لهذه الصور من العيش الواحد في الميناء، نلاحظ في صورة تعود إلى العهد العثماني وتضم نخبة من أعيان المدينة وقادتها، منهم ابراهيم حبيب (8 تشرين الثاني 1947)[31] في الصف الأول، وعلى صدره إشارة الصليب تبدو بشكل علني، على لباسه الرسمي[32]، من دون أن يثير حفيظة أحد.

هذه هي الميناء تعيش يومياتها بعفوية، وتسبق عصر ما اصطلح على تسميته بعصر «حوار الحضارات»، وفي لفظ آخر «صراع الحضارات».

19 - تخرّج مهندساً من جامعة اسطنبول عام 1911(أرشيف نقابة المهندسين – طرابلس).

20 - تخرّج من المعهد الهندسي في لبنان (أرشيف نقابة المهندسين – طرابلس).

21 - من الشاهدة المرفوعة عند تمثاله في الساحة المعروفة باسمه.

22 - جريدة «النهار»، 21 حزيران 1996.

23 - ولد في الميناء عام 1926، نال من الأزهر إجازة من كلية أصول الدين عام 1947، والدكتوراه عام 1949، ونال إجازة في الأدب العربي من جامعة القاهرة عام 1950. غادر إلى باريس ونال من السوربون دكتوراه في الآداب مع أطروحتين. عاد إلى طرابلس عام 1954 مؤلّفاً وباحثاً. اغتيل في بيروت في 7 تشرين الأول 1986.(أحمد الجنابي، الشيخ الشهيد الدكتور صبحي الصالح وجهوده اللغوية. بحث لجامعة الجنان، 2001، ص 5).

24 - جورج خضر: الميناء في ذاكرة الغد، ص 34.

25 - مواليد طرابلس عام 1884، تولّى الإمامة والتّدريس في الجامع العالي الكبير في الميناء زهاء ثلث قرن، كما استلم توقيت الميناء. ثم مركز الافتاء بطرابلس من عام 1944 إلى عام 1947. توفي عام 1947.

26 - مخطوطة بخطّ يده .

27 - جان توما، الأرثوذكس، ص 167.

28 - الشيخ ناصر الصالح ، الميناء في ذاكرة الغد، ص 39.

29 - انتخب مفتياً على طرابلس والشمال في 27 كانون الثاني 2008.

30 - جريدة «المستقبل» عدد 2008/4/16.

31 - من سجلات المتوفين في كنيسة القديس جاورجيوس الأرثوذكسية- الميناء.

32 - الصورة معلّقة في قاعة مكتبة بلدية الميناء.



© معرض رشيد كرامي الدولي – مسرح «الدوم»، الصورة من الكتاب الذي أصدرته جامعة البلمند في العام 2011 بعنوان «طرابلس، مدينة كل العصور»

المدينة واجهة الثقافة لا... واجهتها !

جان رطل

خطر ببالي، رداً على دعوتي إلى الكتابة في ملحق مشروع «بناء السلام» المخصّص لمدينتي، أن أحكي عن نفسي! فأنا من الذين، حين يُدعَون إلى منبر، يُفرغون كل ما في جعبتهم من كلام عن علاقة خيالية، لكنها أكيدة، لهم ولمقامهم الرفيع، وكأن الأمر معدٌّ خصيصاً لشخصهم الكريم باعتباره من الأساسات الثابتة للكون واقعياً وافتراضياً، وليبقَ بعدها للحواشي النزر اليسير مما يفترض أنه صلب الموضوع !



Shoot as you walk 62 تنظيم We love Tripoli، التل – وسط طرابلس

فلو حاولت أن أخرج عن المعهود، وتخيّلت سياقاً آخر، ما يعني مثلاً متابعتي للنشاط الثقافي في طرابلس، للاحظت أني ذاهب كي أغوص في بحر «النق» الموسمي، الذي تختبره نخب المدينة دورياً، «النق» مخصّصاً لعناوينه الثقافية:

أ ـ مسرح «الإنجا» مع مرافقة سلسة لحمار، على اعتبار أن «الحمار»* يعوّض عن غياب هيبة صاحبه.

ب ـ مسرح «الدوم» أو المسرح الكروي المغلق الذي بقي قيد الإنشاء منذ افتتاح العمل على ورشة «نيماير» لمعرض لبنان الدولي في 23 أيلول 1963، والذي كانت كلّ مراحله مخطّطاً لها الانتهاء بعد أربع سنوات!

ج ـ سأحاذر الحديث عن المعرض الأولمبي الذي كلّف 19 مليون دولار كي لا أنتصر له، وسأنصرف لاستخدام هذه الفقرة كي أنتظر ثلاثين سنة سقف القاعة الرياضية في الميناء، والتي استخدمتها كمكان للعرض خلال إعداد مسرحيتي للتخرّج، على الورق طبعاً، سنة 1982.

د ـ لو أن مهرجان السلم الأهلي الأول، مع سهير دندشي و«جمعية أصدقاء المعاقين» سنة 1988، لم يحوّل المجال المحيط بين «محطة» القطار و«برج السباع»، و«برسباي» كي لا يزعل الدكتور عمر تدمري، بما جعل من البرج والمقصورات المتهالكة حيزاً قادراً على احتضان التظاهرات الثقافية والفنية! لولا ذلك لولّى المهندسة نهى نيكرو والمهندس فواز سنكري والصيدلي خلدون الشريف!

ولو لم يكن عنوان السلم والنشاط الثقافي البارز من بين ما يخطر بالبال بالمعنى الايجابي، لتحوّلت المتابعة الى اقتراحات «نق» مستدام! فماذا لو لم تكن لهذه الكلمات الباحثة عن «النوستالجيا» ما يبررها؟ كم من مرّة، من جيل، من كاميرا، من لوحة، من معرض، من مسرحية، وكم من كلمة تحوّلت قنبلة، حزاماً ناسفاً..!

لم تكن هذه العبارة شطحة قلم بل هي إشارة إلى عمل الروائي جبور الدويهي الأخير «حي الأميركان» الذي اتخذ من طرابلس مكاناً وموضوعاً له، ومن بين شخصياتها من يذهب إلى العراق ملتحقاً بـ«القاعدة» حيث يطلب منه تفجير نفسه بالحزام الناسف لكنه لا يفعل ويعود إلى أهله ! في بحث عن سلامه الشخصي.

للمدينة ساحاتها ، شوارعها والوسطيّات، وقد استقبلت على مدار السنين منحوتات أخذت تتكاثر هنا وهناك، وأبرزها في الميناء ما تركه ماريو سابا، وربما من أول المنحوتات المؤرقة، إعصار دائم يشفط بقايا مقاعد المدرسة ومخلفات «الكومبيوترات» التي استهلكت بسرعة أمام تطور سعتها وحداثة برامجها، المتجاوزة، بلمح البرق. ذهب ماريو وبقي إعصاره الذي سيخبرنا دائماً عن الهشاشة بوجه الآتي إن لم نستوعب اللحظة.

بعده خرق عدنان خوجة المعهود بالسيمبوزيوم الذي أشرف على أعماله، فقد ترك بمسعى مقصود النتاج حياً في كل مكان، وكان قد استقدم له النحاتين من دول عديدة، ومن ثماره ست منحوتات توزعت بين المتاح من المساحات الخضراء، فهي إما قبالة السنترال أو مواجهة لطريق المينا إلى مفترق مستشفى «النيني»، المثلث المواجه لمدرسة «عبرين» و«قصر الحلو»، وواحدة تحت جسر المشاة القاطع لجسر أبي سمراء، ومنها ما يركن إلى تحويله طريقاً تتجه نحو المعرض، وثلاثة أشرعة بنفس نحتي مؤسلب حديث تحضنها الكتلة المجسّدة لها على مقربة من بلدية طرابلس.

وثمة أشرعة أخرى على مدخل الميناء، أتت كتكريم متأخر للنحات محمد الحفار، وهي واحدة من الأعمال الكثيرة التي أنجز «ماكيتاتها» وحضرها للمدينة، وقد زيّنها مؤخراً محمد غالب بجدارية عملاقة مواجهة لها جاعلاً لها البحر قريباً بأزرقه الشاسع وبنوارسه البعيدة المتجمعة الأسراب أو القريبة المتهادية بأجنحتها العديدة. ولن ننسى صخرة «سيزيف» الباقية من نشاط لبيت الفن، أو ما يشابهها مكرّسة الثقل المنطقي لمستديرة الـ«غروبي» والمكرسة رسمياً تحت اسم «البيئة» والتي تفضي إلى القوس التكريمي للدكتور بويز باعتباره ما تبقى من ذاكرة مستشفى «الأميركان».

„ للمدينة ساحاتها ، شوارعها والوسطيّات، وقد استقبلت على مدار السنين منحوتات أخذت تتكاثر هنا وهناك، وأبرزها في الميناء ما تركه ماريو سابا، وربما من أول المنحوتات المؤرقة، إعصار دائم يشفط بقايا مقاعد المدرسة ومخلفات «الكومبيوترات» التي استهلكت بسرعة أمام تطور سعتها وحداثة برامجها، المتجاوزة، بلمح البرق. ذهب ماريو وبقي إعصاره الذي سيخبرنا دائماً عن الهشاشة بوجه الآتي إن لم نستوعب اللحظة "

تبقى الإشارة إلى الجداريات التي قيل إنها ستملأ الساحات والأماكن، كنتاج دراسات عليا من معهد الفنون قسم الرسم، والتي لم تتخطَّ موجتها الأولى، وما يؤسف له ان بعضها تمّ تهشيمه أو نقله إلى الزوايا الخلفية.

لنعترف بأن النشر في المدينة قليل وربما يقتصر على بعض هواة الشعر، ومحترفي الوجاهة، غير أن «المجلس الثقافي للبنان الشمالي» يتابع «توثيقياته» عن الصحافة، المسرح، الشعر والشعراء، والشخصيات وهو يعكف في هذه الأيام على كتاب حول الروائيين الشماليين. كما استعاد دراسة «مجتمع النهر» للراحل طلال منجد، وعمل على نشرها في كتاب فعادت حكايات «أبو علي» التي حمّلها طلال قول كلود ليفي ستراوس عن الانتروبولوجي الذي يسير إلى الأمام فيما يتراجع المؤرخ القهقرى طارحاً السؤال: ما الذي جعل النواة المدينية تتخلّى عن شريانها؟

وقد انتشرت في السنوات القليلة الماضية أيضاً بعض الجمعيات الشبابية التي تسعى الى نشر الموسيقى، وتنقل الرقص إلى الشارع في احتفاليات ارتجالية تواكب النشاطات العامة كما بعض المناسبات الجامعة. ربما هذا ما سوف يعيد تنشيط المسارح والمراكز الفنية الثقافية التي تكتفي باستقبال ما ينتج خارج المدينة في أغلب الأحوال، في مسعى الى تعميم الوجاهة بدون الخوض في متاهات المساعدة على إطلاق النتاج المحلي، أللّهم باستثناء حالة كورال الفيحاء التي ربما تمثل الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، وهو أصبح كالزرع البعل يظهر بقوة المواهب الفردية.

الحديث يطول وتفوح منه الحكاية التي أكرّرها بدون ملل عربون معروف لمدينة أتاحت لي أن أراها، كما هي، لا كما يكثر الحكي عنها، فأول الكلام الحرب، وآخره تنتظر أن يؤكده فيقولها لك لسان واحد من أهلك.. أهلها، حيث تلقاهم، واحد يعشق الهرب... «السلام عليكم»!.

*** اشارة إلى حكاية حمار «حسن الإنجا» الذي كان يوازي حاكم المنطقة أيام الولاية العثمانية، والذي كان يرسل حماره إلى أي احتفال او مناسبة اجتماعية ليضمن الأمن.**

نساء طرابلس

د. وفاء شعراني

قد يبدو العنوان غريباً، فهل هن في طرابلس غيرهن في مكان آخر؟ ربما... فالمدن كالنساء ونساء طرابلس كمدينتهن، هذه المدينة التي تنام متروكة مفتوحة الذراعين تحت الشمس تنتشي بالضوء، على حساب قضية، وكم أخاف من يوم سيحمل ادّعاءً عريضاً يزعم أصحابه أنهم يقبضون على حركتها، وأنهم يعرفون ما تحتاج إليه ، وما يؤمن لها الحياة، وهم لا يدرون أن مدينة ستتكوّن، وهم في غفلة، خارج هذه المدينة.



© يزن حلواني - «وجه الحروف»

في لوحة أسواق طرابلس، رسم محمد عزيزة امرأة ترتدي «الحبرة» وضعها في مركز اللوحة، بوجهٍ لا تفاصيل فيه، وهي لوحة غالية على قلبي، تُرجع إلي ذكريات مرحلة غابرة تلتها حداثة القبعات التي ارتدتها الصبايا منذ بدايات القرن الماضي. أما اليوم، في بداية العقد الثاني من الألفية الثالثة، فتعيش نساء طرابلس حياة مدينة الطرف، كمينائهن، حيث استطعن التلاؤم مع البيئة ومجابهة واقع المرأة، وعندما يجثم على صدر المدينة خوف، تراهن يتقوقعن على أنفسهن. لقد تغيّرت مدينة الثورة، والأرض الطيبة التي كانت تؤاخي بين الثورة والحرية، باتت متروكة.

هنادي، إحدى طالباتي، في سرديتي هذه عنها أقدمها نموذجاً لحالة تعمّ كل مناطق المدينة. وهي لم تفاجئني بارتداء الحجاب في موجة ارتفاع أعداد المحجبات في الجامعة اللبنانية بوتيرة مرتفعة وسريعة حيث كنت أدرّس مادة الفلسفة الإسلامية، وبعدما تركت خطيبها الثري، وهجرت منتجعه البحري والشاليه الفاخرة، تزوجت من شاب ملتحٍ كان بدوره من طلابي في قسم الفلسفة. إنها اليوم تتحدث عن نساء القرآن، وعن خولة بنت ثعلبة، وامرأة نوح، وامرأة لوط، وامرأة العزيز، وتقول إن كل معلوماتها تستقيها من مدرسة الدين في حصص تفسير القرآن.

هنادي رفضت فكرة المشاركة في برنامج حواري بين منطقتي «الجبل» و«التبانة» في محاولة لاكتشاف التسامح على الأرض انطلاقاً من تعاليم السماء، كما رفضت المشاركة في الكتابة عن الخطة الوطنية لحماية المرأة، وقالت: «لا عيب في أن تكون المرأة أنثى الرجل»، وبسؤالها عن رفض العنف الواقع على النساء في الأسرة والمؤسسات التعليمية، ورفض الصورة النمطية للمرأة الطرابلسية، أجابتني مشبعةً باليقين بأن أي تساؤل حول أوضاع المرأة لن تفيده خطة وطنية لحمايتها، فذلك من شأن الله وحده.

تتمتع مدرسات الدين باحترام كبير، وتتكون حولهن كتلة نسائية شابة مرصوصة غير واضحة التحوّلات، لها دلالاتها المحيّرة، تنتمي إلى شريحة بورجوازية سلبية النشاط.

جميع المريدات المواظبات على دروس الدين يصبح الجامع عندهن أكثر أهمية من الإسلام، ولست هنا لأطلب منهن العمل على تجديد الثقافة الإسلامية والكفّ عن اجترار الماضي الديني، وأن يأخذ الدين على أيديهن بُعداً يفجّر آفاقاً روحية جديدة، لا بل إنني هنا أتساءل عن وجهة النساء في طرابلس وهن قد أتممن بجدارة، إدارة المياتم والأعمال الخيرية في مدينة تعلمنا فيها القرآن واللغة والحب والشعر، فهل تنكمش الوجوه النسائية الطرابلسية وتنفصل عن الواقع والحياة؟

تتجوّل النساء السافرات بحرية في المدينة، وفي المناسبات يتألقن تألقاً باهراً جنباً إلى جنب المحجبات. وفي المنتجعات البحرية تتمدد الطرابلسيّات بلباس البحر تحت أشعة الشمس حيث تبدو الحياة في هذه الأمكنة حلماً. وفي تمام الساعة الثانية ظهراً، ينادي حارس المنتجع البحري المخصص للنساء، بأنه حان وقت وصول الرجال، فتلبس السابحات عباءاتهن ويسود الشاطئ الرملي هدوء عميق.

في مجتمعي، المنتجعات القائمة على طرف المدينة، خليط الجمال والقبح، أتردد في البوح عن مكنوناته، ولا أستطيع فهمَ سبب انفصام المدينة، ليس تنوعاً ، فهناك كتلة نسائية أخرى، حيث لا مدرسات دين، تقبع في الفقر والتهميش والذل، أراهن في شوارع التبانة والقبّة وضهر المغر، بالعباءة والحجاب، مطلَّقات، معنَّفات، زوجات إسلاميين من نزلاء «المبنى ب» في سجن رومية تلاحقهن وسائل الإعلام. لا حياة هنا، بل فقط الموت قهراً.

ينجم هذا الخوف عن وقوع المدينة في حمأة صراع يفوق قدرتها. سابقاً كنت أرتاد المقهى الجميل قبل إغلاقه، الواقع في أجمل شوارعها، وكان أصحابه يقدمون فيه الكحول، ويقيمون سهرات غنائية، كما كان مقهى أدبياً بامتياز استضاف شعراء وفنانين، يوم لم تكن المدينة قد أصبحت بعد خارج المدينة.

ليس بمقدور السياسيّ القضاء على التخلّف، بل لا بد من تغيير التقاليد، وتأسيس الحياة اقتصادياً ومدنياً وثقافياً.

طرابلس في الإعلام

ظلم وافتراء.. وتقصير

غسان ريفي

لا يقتصر الظلم اللاّحق بطرابلس على غياب الاهتمام الرسمي بها، وعلى حرمانها من مقومات التنمية، وتهميشها إجتماعياً وإنمائياً، ما أدى إلى ارتفاع نسب الفقر والبطالة والتسرّب المدرسي، والأزمات المعيشية والإنسانية فيها على نحو مخيف.

ولقد تمدّد هذا الظلم إلى وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة وحتى الإلكترونية التي تتعاطى مع طرابلس من الزاوية الأمنية فقط، وتساهم مجتمعة، عن قصد أو عن غير قصد، في رفع جدار العزل حولها.

هذا التعاطي الاعلامي مع المدينة بدأ يفقدها مقوّماتها الاقتصادية والسياحية والتجارية، ويضع مؤسساتها الحيوية على حافة الانهيار، وذلك بفعل التأثير السلبي الذي يعكسه على اللبنانيين عموماً وعلى أبناء الأقضية الشمالية خصوصاً، والذين بدأوا ينظرون إليها من زاوية أنها مدينة للخوف، ومدينة غير قابلة للحياة.

وهذا الواقع دفع كل هؤلاء إلى الإحجام عن زيارتها أو التسوّق من أسواقها التاريخية والتراثية، في حين لا يختلف اثنان على أن الفيحاء لا يمكن أن تعيش وتنهض وتنمو إلّا بما يعرف بـ«الإجر الغريبة» التي غابت عنها خلال السنوات الماضية.

فطلقة نار، أو رمي قنبلة يدوية، أو إشكال فردي في أي حي من أحيائها، كلها كفيلة بتوجيه أنظار وسائل الإعلام إليها، فتسارع الى الحديث عن السلاح والارهاب. بينما خروق أمنية مماثلة في مناطق أخرى لا تعيرها هذه الوسائل أي اهتمام.

لم يعد خافياً أن الفقر المنتشر أفقياً في طرابلس دفع ببعض التيارات السياسية والدينية، وأصحاب الأجندات المشبوهة، إلى استغلال الكثير من شبانها، وإغرائهم بالمال والسلاح في ظرف سياسي معين وفي غفلة من الأمن، ما جعل المدينة ساحة مفتوحة لتصفية الحسابات محلياً وإقليمياً بدماء فقرائها على مدار 20 جولة.

لكن ذلك لا يعني أن طرابلس باتت مدينة للحرب فقط بنظر الإعلام، وأنها باتت مقصداً لكل ساعٍ باتجاه السبق الصحفي أو الإثارة أو الشهرة، فقد كانت لها، خلال السنوات الأمنية العجاف، نشاطات محلية ودولية فنياً وثقافياً ورياضياً، كانت تدل على وعي أهلها ووحدتهم ضمن التنوّع، وتعايشهم مع بعضهم البعض، وتمسكهم بالسلم الأهلي، ورفضهم التوترات، لكن ذلك كله لم يكن له حظ في الإضاءة عليه، فتحركٌ بسيط أو إطلاق نار ابتهاجاً في المدينة، كانا يستدعيان انتقال سيارات النقل المباشر إليها، بينما المهرجانات الصيفية، والنشاطات من ماراتون وبايكاتون وريسيتالات ومعارض لا تحظى سوى بثوان معدودة في نشرات الأخبار.

ولم يكتف الإعلام بذلك، بل إن بعض محطات التلفزة كانت وما زالت تتجاهل الكثير من المفكرين وأصحاب الرأي وممثلي المجتمع المدني من أبناء طرابلس، لتستضيف في برامجها بعض المدّعين من الموتورين الذين يمعنون في الإساءة إلى المدينة والى أهلها وإظهارهم بأنهم طائفة من المتطرفين المنعزلين الرافضين للآخر.

كل هذا الظلم الإعلامي الذي تعرضت له عاصمة الشمال لم تتمكن من التصدي له من أجل تغيير الصورة النمطية عنها. فهي تتمتع بحيوية هائلة عبر هيئاتها المختلفة، ورغم إمكاناتها الضعيفة، تتفوق بنشاطاتها على كثير من الهيئات في مناطق لبنانية محظية، لكن تجاهل الإعلام عن إظهارها يجعلها تنحصر بين المشاركين فيها فقط.

لذلك يصح القول أن طرابلس مدينة مغيّبة إعلامياً، إلاّ من إشكالاتها الأمنية، وما يضاعف من هذا الغياب أن أكثرية مراسلي وسائل الإعلام ومندوبيها في المدينة يعملون بتوجيهات إداراتهم المركزية التي تولي الخبر الأمني، مهما كان نوعه أو حجمه، الأفضلية، فيما هم يفتقدون إلى أي تأثير على هذه الإدارات، ويفتقرون إلى المبادرات الإيجابية عبر الإضاءة على بعض الصور الحضارية في طرابلس لا سيما المدينة المملوكية، والأسواق التراثية، والعادات والتقاليد التي ما تزال تنفرد بها.

والواقع أن الصحف العديدة الصادرة في المدينة، سواء كانت سياسية أم غير سياسية، هي في معظمها تعيش على المال السياسي، ما يجعلها مرتهنة للجهات التي تموّلها، كما أن انعدام الرؤى التطويرية لدى أكثرية إدارات هذه الصحف يجعلانها محلية بامتياز ومحدودة التأثير.

إن إنصاف طرابلس، وتغيير سلوك وسائل الإعلام تجاهها، يحتاجان إلى «لوبي إعلامي» ضاغط يستطيع فرض حضورها الإيجابي، كون الاعلام جزءاً لا يتجزأ من التنمية الشاملة التي تحتاجها هذه المدينة.

إن قليلاً من الجهد الإيجابي والأفكار الخلاّقة، والتضامن المدني والإعلامي في طرابلس كفيل بوضع الأسس لتعاطٍ جديد معها من قبل وسائل الإعلام، فالمدينة التي لا تدافع عن نفسها لن تجد من يدافع عنها، علماً أن كثيراً من المتابعين يؤكدون أنه لكي تنصف طرابلس إعلامياً عليها أن تعود عشرين عاماً إلى الوراء، ففي تلك الحقبة كانت فيها أربع محطات تلفزيونية تضاهي كل منها المحطات اللبنانية إلى حدود المنافسة، وكانت لها حريتها الإعلامية واستقلاليتها، وكانت عند كل إساءة تتعرض لها ترد الصاع صاعين عبر وسائلها الإعلامية، لكن هذه المحطات ما لبثت أن أقفلت بفعل غياب الإمكانات وانعدام الدعم، ولم تشهد المدينة بعد ذلك أي محاولة لتعزيزها إعلامياً بالرغم من كل الإمكانات المالية الضخمة الموجودة فيها.



© أنور عمرو

طرابلس مدينتنا:
نعمل ونرفع صوتنا من أجلها

أديب نعمة

فيما أهمُّ بكتابة هذا المقال، شعرت بحيرة مزدوجة. فأنا لست متأكداً مما إذا كنت أريد أن أكتب لأهل مدينتي طرابلس، أم أكتب لعموم المواطنين اللبنانيين؟ أم أتوجه بشكل خاص إلى شباب المدينة، أو شباب الأحياء الفقيرة والمهمّشة تحديداً الذين ما اعتدنا أن نتحاور معهم بشكل مباشر ومستمر؟ واستطراداً، لم أكن متأكداً مما إذا كنت سأكتب من منظور الباحث أو الخبير المعني بمحاولة بلورة خطة تنمية لطرابلس؟ أم أكتب بصفتي مواطناً طرابلسياً، فأترك لكل انفعالي وانحيازي ان يتدفق من دون تقييد؟

إلاّ أن الضرورة تقضي أن أعطي الأولوية الآن لأشرح ما الذي نحاول فعله أكثر مما نشعر به. لذلك سأعرض للفكرة العامة التي تقوم بها وزارة الشؤون الاجتماعية بالشراكة مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا – «الإسكوا»، لبلورة مشروع تنموي شامل للمدينة.

لقد سبق أن عرضنا يوم السبت في 10 كانون الثاني 2015 نتائج دراسة الفقر الحضري لطرابلس، كما عرضنا بعض الأفكار لتصورنا لمشروع تنميتها. وفي ما يلي أهم محاوره لتكون موضوع اطلاع ونقاش عام، سوف نسعى الى تنظيمه تباعاً.

التهميش المزمن

يسود اقتناع عام لدى أهل طرابلس، واستطراداً محافظتي الشمال وعكار، بأنهم كانوا ضحايا إهمال مزمن يمتد عقوداً. يستند هذا الشعور العام إلى وقائع متينة أكدتها الدراسات، والمعطيات المتوفرة مركزياً ومحلياً. إذ ثمّة إجماع أن هناك فجوة تنموية في مختلف المستويات بين المتوسطات الوطنية وبين مستوى المؤشرات في المناطق الطرفية عموماً، ومناطق عكار والضنية وطرابلس بشكل خاص، على الرغم من أن طرابلس هي العاصمة الثانية في لبنان.

يمكن تلخيص الوضع على النحو التالي:

- إن نسبة الأسر الفقيرة في طرابلس، بحسب المقاييس الوطنية، بلغت في نهاية عام 2011، نحو 51% بحسب خط فقر الدخل الوطني (آخر نسبة محسوبة وطنياً عام 2005 هي 28%)، و40% بحسب دليل أحوال المعيشة (آخر نسبة محسوبة وطنياً عام 2005 هي 30%)، في حين أن نسبة الأسر المؤهّلة للإفادة من برنامج مساعدة الأسر الفقيرة في لبنان تبلغ 23%، مقارنة بنسبة 8% وطنياً، وهي النسبة التي بُني المشروع على أساسها.
- نسبة الحرمان بحسب دليل الحرمان الحضري (النموذج الذي صُمّم حديثاً وطبّق على طرابلس في نهاية عام 2011) تبلغ 57% من الأسر، وتصل إلى 87% من الأسر في باب التبانة – السويقة، في حين تبلغ نسبة الأسر المحرومة اقتصادياً – بحسب الدليل نفسه – 77% من الأسر، وتبلغ 95% في باب التبانة-السويقة.
- لم تتجاوز حصة محافظتي الشمال وعكار 4% من إجمالي التسليفات المصرفية (وكذلك المحافظات الطرفية الأخرى)، وهي نسبة مستقرة عند هذه المستوى لعقود، وتظهر عزوف القطاع الخاص عن الاستثمار في هذه المناطق.
- نسبة الأسر المشمولة بالتأمين الصحي في طرابلس لا تتجاوز 24% ، في حين أنها قريبة من 50% على المستوى الوطني. أضف إلى ذلك ان محافظتي الشمال وعكار تسجلان أعلى نسبة خصوبة ووفيات أطفال وأمهات في لبنان.
- ثلثا التلاميذ في طرابلس ملتحقون بالمدارس الحكومية (الثلث فقط ملتحق بها على المستوى الوطني)، وتسجّل في المدينة أعلى نسب التسرّب المدرسي إذ إن 16% من المراهقين في عمر 13 سنة خارج المدرسة، وترتفع هذه النسبة إلى ما يقارب النصف في الأعمار المقابلة للمرحلة الثانوية. وبحسب مؤشرات كثيرة، فإن هذه النسبة قد ارتفعت منذ عام 2011.

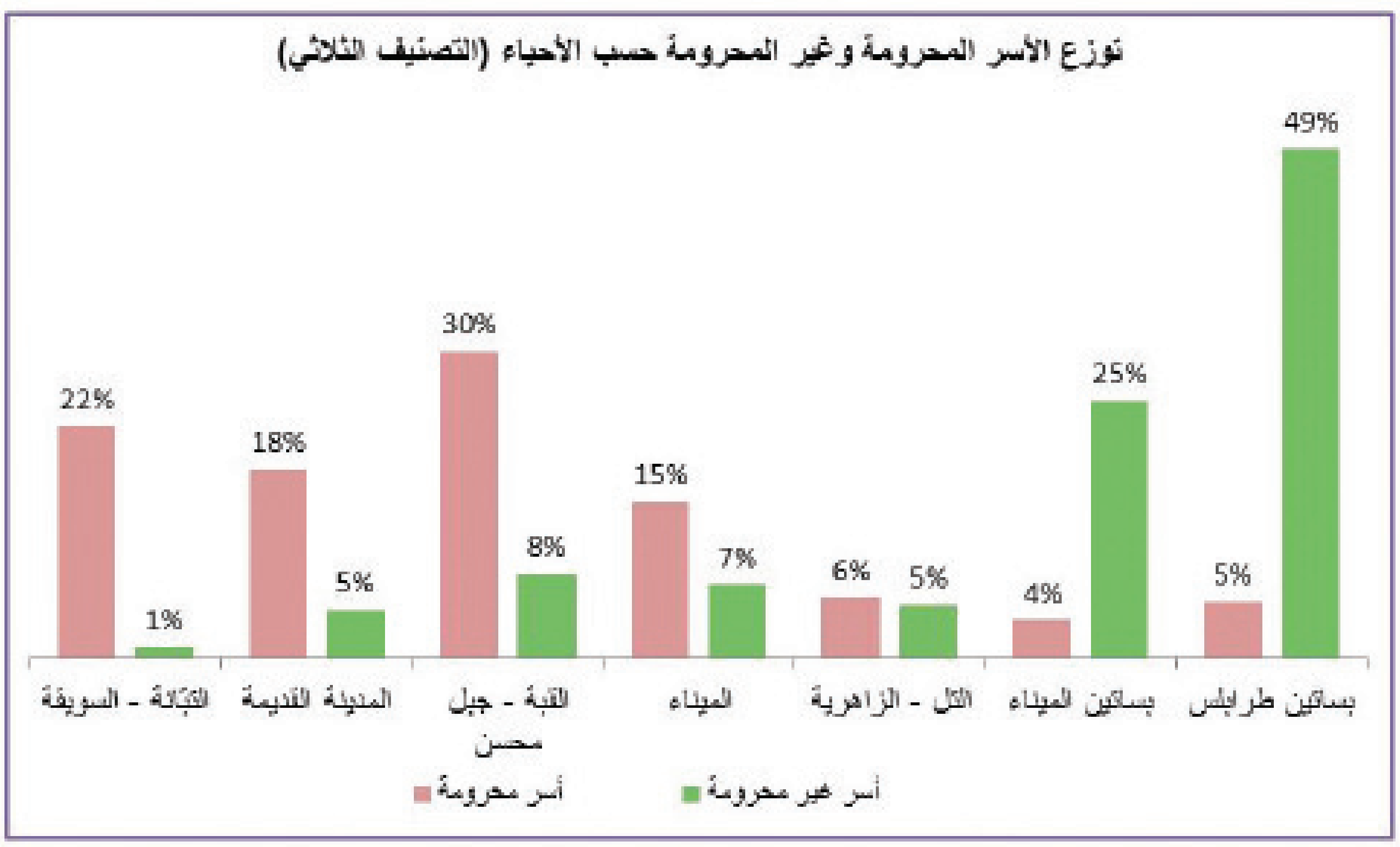
مدينة فقيرة مع جيوب رفاه

بالإضافة إلى المواجهات الأمنية المتكررة منذ عام 1980، والتي توقفت منذ تطبيق الخطة الأمنية مؤخراً، تجد مدينة طرابلس نفسها وقد اجتاحها الفقر والحرمان إلى درجة أنه وجب اعتبارها مدينة فقيرة بصورة عامة، مع بعض جيوب الرفاه، وهو ما كان من المفترض أن يكون العكس تماماً (أي مدينة ذات مستوى مقبول من الرفاه مع بعض جيوب الفقر).

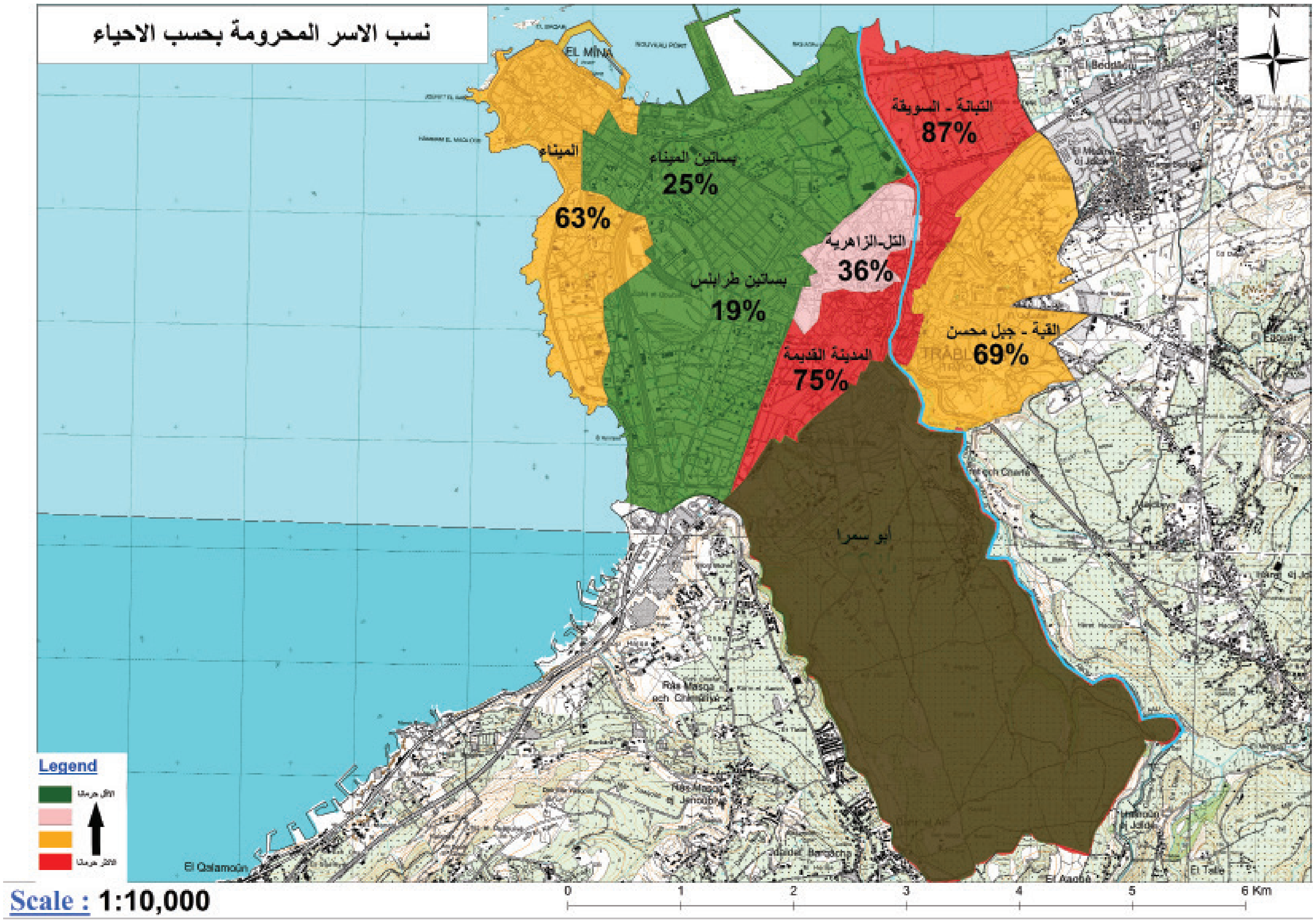
كما تجدر الإشارة، إلى أن مجمل هذه الأوضاع الصعبة والمعقّدة، كانت موضع تناول من قبل الإعلام، الذي ساهم عن قصد وعن غير قصد، في معاقبة المدينة من خلال بناء صورة نمطية عن طرابلس، بصفتها مدينة «خارج» لبنان، وخارجة على القانون، الأمر الذي ساهم في تعطيل دورتها الاقتصادية بصفتها عاصمة لمحافظتي الشمال وعكار، وعطّل دورها الاقتصادي الوطني، وساهم في إحباط المحاولات الخجولة لاستعادة الثقة التي هدفت إلى تشجيع المستثمرين على الاستثمار فيها راهناً ومستقبلاً.

تنمية طرابلس فرصة للبنان

إن استمرار تهميش طرابلس وإفقارها يمكن أن يشكّل تهديداً مباشراً للأمن والاستقرار في لبنان كله. كما أن إطلاق مسار تنمية شاملة في المدينة



«تقرير دراسة الفقر الحضري» في مدينة طرابلس الذي أعدته وزارة الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع «الاسكوا» وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2015



من «تقرير دراسة الفقر الحضري»

(واستطراداً في الشمال وعكار) من شأنه أن يشكل فرصة سياسية واقتصادية للبنان تتيح إمكانية حقيقية لنمو اقتصادي مستدام في المَدَيَين المباشر والمتوسط – البعيد الأمد، تساهم في إخراج الاقتصاد اللبناني من ركوده، خصوصاً ما يعود منه لأسباب بنيوية، لاسيما:

1 - التشبع المكاني (أو الجغرافي) للنشاط الاقتصادي في بيروت وجبل لبنان، ونسبياً في مناطق لبنان الأخرى، في حين أن فرص الاستثمار الجغرافي، ومكوّنَي الانتاج الرئيسيين، أي كلفة الاستثمار العقاري والقوى العاملة، متوفرة في طرابلس والشمال وعكار، وبكلفة منخفضة مقارنة بالمناطق الأخرى (ميزات تفاضلية).

2 - التشبع القطاعي (خصوصاً الاستثمار العقاري والمالي والسياحي)، حيث يفتح النهوض المتكامل والمستدام للاقتصاد في طرابلس والشمال وعكار، فرصاً لاستثمار في قطاعات جديدة، بما في ذلك ما يمكن أن يكون له أدوار ريادية وقيادية في تلبية حاجات السوق اللبنانية، والسوق الإقليمية.

الحاجة إلى خطة تنمية شاملة

في طرابلس لا يتعلق الأمر بالجزئيّات. فنحن إزاء ديناميّة تدهور وتآكل لكل الرصيد التنموي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والعمراني للمدينة؛ والرد يكون بحشد الموارد المؤسسيّة، والبشرية، والمالية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، من أجل إطلاق دينامية إيجابية بديلة، تنقل المدينة من مسار التهميش والتدهور إلى مسار التنمية والتقدم، ويموضعها في قلب الديناميّات الوطنيّة والإقليميّة التنمويّة.

لذلك، فإن المحاولة التي نقوم بها حالياً، لا تتعلق بتوفير بعض الخدمات أو القيام بتدخلات جزئية أو قطاعية، كما أنها لا تقتصر على معالجة المشكلات: إنها تذهب أبعد من ذلك، وتهدف إلى تحفيز عملية تشاركية لصوغ رؤية مستقبلية لمدينة طرابلس ودورها، وإلى إطلاق مسار تنموي صاعد بدل مسار التهميش الهابط. إنها مسألة استبدال مسار بمسار آخر، لا توسيع النمط التوزيعي السائد حالياً.

لقد أُنفق الكثير وفق النمط التوزيعي، ومع ذلك فإن أثر هذه التدخلات بقي موضعياً ومحدوداً، ولم يساعد على خفض معدلات الفقر والحرمان. وقد بينت مقارنة انتشار الفقر حالياً مع خريطة انتشاره في دراسة سابقة عام 2001 (هرمنديان)، أن كل مناطق الفقر حينها لا تزال فقيرة حالياً، وأضيفت إليها مناطق جديدة. هذه يعني ببساطة، أن نمط التدخل السابق (والحالي) لم ينجح في وقف مسار الإفقار والتهميش، وأنه لا بد من مسار مختلف.

إن المقاربة البديلة مبنية على فكرة الترابط والتآزر بشكل عضوي بين السياسات والتدخلات الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى التكامل مع الأبعاد الأخرى أيضاً. كما أن المطلوب هو تصميم تدخلات إجتماعية عريضة القاعدة، تطاول فئات وأعداد ومناطق واسعة بدرجة كافية لكي تحدث أثراً فعلياً على مستوى المدينة كلها. كما أنها تتجاوز نسق التوزيع إلى التمكين، وإلى إطلاق ديناميّات اجتماعية تساهم في التماسك الإجتماعي المنفتح على المجال الأوسع، كما تساهم في تحفيز الحراك الإجتماعي الصاعد.

ثلاثة مسارات

إنسجاماً مع المقاربة الشاملة، وانطلاقاً من ترابط المسارات وتلازمها الضروري، تتحدد الأهداف الرئيسية الكبرى لاستراتيجيّة التنمية المدينيّة المطلوب بلورتها، على النحو التالي:

1 - في المسار السياسي – المؤسسي: ضمان الأمن والاستقرار بصفتهما شرطين مسبقين ضروريين لأي خطة تنمية في المدينة.

2 - في المسار الإقتصادي، والإقتصادي – الإجتماعي: إطلاق ديناميّة إقتصادية مدينيّة مندمجة ومتكاملة مع الإقتصاد الوطني، محورها إيجاد فرص عمل (خصوصاً للشباب)، على أن تكون ذات مضمون إجتماعي قوي وتساهم في مكافحة الفقر والتفاوت، ومتلازمة مع برامج تدخل إجتماعي شاملة وقطاعية، متآزرة معها، نحو المزيد من العدالة والمساواة بين الجنسين، ومدعومة بمشاركة الشباب.

3 - في المسار الثقافي، والإجتماعي – الثقافي: العمل على تغيير صورة المدينة تجاه الخارج، وكذلك العمل على تطوير قيم وسلوكيات المواطنين في إطار صياغة صورة جذابة للمدينة تجاه سكانها أولاً تشعرهم بالإنتماء إليها من دون تمييز، كما تجاه سائر المواطنين اللبنانيين، إلى جانب الاهتمام برفع المستوى العلمي ومستوى المهارات لعموم السكان وللفئة الشبابية بصفة خاصة.

ماذا بعد؟

ما من شك في أن هذا العرض مجتزأ وغير كاف. إلاّ أننا نطرحه بهدف إطلاع سكان المدينة على وجهة تفكيرنا، وسوف ننظم في الأسابيع المقبلة إجتماعات واسعة لمناقشة هذه الأفكار، وأفكار المواطنين الذين من الواجب احترام آرائهم في صوغ حاضر ومستقبل مدينتنا جميعاً.

إنها نقطة بداية، وإلى لقاء قريب.

جبل محسن
بين مطرقة الموت وسندان الحرمان

رانيا حمزة

في الأصل، لا يمكن فصل منطقة جبل محسن عن منطقة باب التبانة، فهما كيان واحد في سجلات الدولة، وساحة واحدة في حسابات المعارك التي تدور في رحاها ثمناً لأجندات سياسية محلية ودولية. وصحيح أن الحرب تنسحب لكنها تخط على طريق العودة أحرفاً من نار ودمار ودماء على أعتاب بيوت الأبرياء والفقراء، وهي أمور قلّما تهم قادة المعارك وتجار البشر والهيكل.

عند لفظ اسم «جبل محسن» تنتصر في حرب الأفكار والمواقف، صورة لبشار الأسد عند مدخله، ومذهب علويّ موسوم على سجل القيد، وربما ذكريات حرب استنزفت المئات منذ حرب عام 1975 إلى يومنا هذا، والعديد من المواقف المسبقة التي تختلف بين شخص وآخر بحسب انتماءاته السياسية ومواقفه العامة، ليبقى الغائب الأوحد عن الأذهان، في زحمة التنظيرات والإجتهادات، أنّ في «الجبل» بشراً من لحم ودم، وهم بحاجة إلى من يمنحهم السلام ويؤمن لهم الرعاية اللازمة ليتمسكوا بالحياة.

ولمن لا يعرفون «جبل محسن»، إليكم قصة يرويها مختار المحلة يوسف حوري عن تاجر كبير من الطائفة السنّية كان يملك أراضي زيتون تقع على تلة هي «الجبل» اليوم، ولمّا وقعت الحرب الاهلية انقسمت المناطق وتجمعت الطوائف في كانتونات، فاستقر أبناء الطائفة العلوية في الجبل، فيما انتقل صاحب الأرض الى قلب المدينة تاركاً اسمه خلفه.

ويقول حوري: «كنّا عائلة واحدة، ولم نكن نعرف لغة سنّي - علوي بدليل أن والدة الدكتور مصطفى علوش علوية، كذلك جدة سعد المصري أحد أبرز المقاتلين، لوالدته، كما أنه حتى اليوم لا تزال المنطقة تضم أناساً من الطوائف كافة».

حارة الجديدة، كواع القبّة، شارع المهاجرين، حارة السيدة، حي الأميركان، هي أسماء لحارات لا يسمع عنها الناس إلاّ إذا سقط قتيل في إحدى المعارك، ولكن لا أحد يبالي بالدخول في دهاليزها، والتعرف على ما هو أفظع من سقوط الضحايا. فمن يمشي في أزقة هذه الحارات يشعر للوهلة الأولى بأنه يواجه وحشة القبور، أما سكانها فتصح بهم مقولة «لاجئين في بلادي»: جدران مزعزعة، وأبواب مصدّعة لا يدخل إليها النور، وفرش مرفوعة على حجارة من الباطون لأن أصحابها يعجزون عن دفع ثمن سرير. وعن ذلك يقول حوري: «إن الشريحة الكبرى من الناس هم تحت مستوى خط الفقر، ولا وظائف متاحة للعلوي، ولا مناصب رفيعة في الدولة، وقد حصلنا على مقعدين للنيابة ولم يكن لنا فضل بمجيء نائبينا، وأنا أشك بأنّ نوابنا الحاليين يعرفون المنطقة أو يبالون بأمرها. لذا فإن الحل الوحيد امام معظم العائلات هو دخول أبنائها إلى الجيش حتى يعيلوا أسرهم».

والحديث عن الوضع الإقتصادي للمنطقة يفرض حكماً معادلة آثار الحروب المتكررة على الوضع المعيشي لأبنائها. فقد تعرض زوج نادين (اسم مستعار) للقنص في إحدى المعارك، فأصيب بشلل انعكس مأساة على حياة أسرته. أولاده تركوا حلمهم بمتابعة الدراسة، أما المنزل الذي يؤويهم فحصلوا عليه بقرض يعجزون عن سداد كمبيالاته المكدّسة. واليوم، هم عرضة لخسارته، فيما الصراع الأكبر يكمن في تأمين معيشة رجل مريض وخمسة أبناء بمدخول لا يتعدى المليون ليرة شهرياً.

أما رنين، فكانت تخطط لإنهاء دراستها الجامعية، ولكن حين تعرضت للضرب في الجامعة لأنها علوية منعها والدها من الذهاب إلى هناك خوفاً عليها، ثم قُتل للسبب نفسه فأصبحت هي المعيلة لأسرتها.

وأمام هول النكبات والعوز، قام عدد من الأهالي بلمّ التبرعات للمحتاجين، كما شكلوا جمعية «بيت الحكمة» التي تقدم، بمساعدة الصليب الأحمر الدولي، وجبات يومية وملابس لنحو 200 عائلة بعد درس أوضاعها الإجتماعية. وعن ذلك يقول المشرف على الجمعية نور عيد: «أرسلنا إلى أحد الأشخاص وجبة «صيّادية» فلم يعرف ما هي، والامثلة عن حالات البؤس لا تعد ولا تحصى». ويتابع: «المؤسف أن عمل الجمعية مهدد لأن المساعدات المادية التي جاءت بسبب المعارك محدودة وضمن فترة زمنية محددة، وبالتالي فإن أسماء شريحة واسعة من الناس ستعود إلى خوائها، ويبقى الأمل في من يمدّ يد العون إليهم من منظمات دولية أو محسنين».

الغضب والرغبة بالثورة شعوران رافقا يوسف شتوي طيلة حياته، فهو يرى مأساة الناس وأوجاعهم، ولا يلحظ بشائر لحلها. وعن ذلك يقول: «يجب على الدولة أن تقوم بعمليات إحصاء لحجم الحرمان، ولا تعتبر أن الجبل هو من مسؤولية نواب طائفة معينة، فنحن لبنانيون أباً عن جد (ويسوانا ما يسوى غيرنا)».

إذاً، الحرمان تعبير كتب تاريخ جبل محسن، وفي بلد تتقاسم دولته الطوائف كقطعة من الجبن بقي هو خارج المعادلة، بل مجرّد أداة لتصفية خلافاتها، فمن أراد الخلاص لجأ إلى تغيير مذهبه، أما من تشبّث بهويته وانتمائه فقد شيّد منزله على قبضة موت لا يدري متى يُطبق على أنفاسه!



© أنور عمرو

«أبو فاعور».. ريادي من التبانة يكافح الذلّ

جودي الاسمر

لا يملك وائل اليوم كثيراً من الوقت الحرّ. ينتهي يومه عند العاشرة ليلاً، الآحاد ليست استثناءً عن هذه القاعدة. في الليل، أفكاره -بعكس عينيه- لا تنام. في الحقيقة، وائل لم يملك يوماً الكثير من الوقت الحرّ. يعبر عن هاجسه بصيغة سلبية. يرفض السائد «لا أريد أن أكون مثلهم». يتأمل باب التبانة، اخوته، جيرانه، رفاق المدرسة ولاحقاً رفاق الحارة والورشة. يحبّهم، يشعر أنّه منهم، لكن لا يريد أن يشبههم. لم يتوقّع وائل أن يجد النموذج في منطقته، الى أن تعرف على أحد قادة المحاور القتالية. تفصيل آخر لأحداث كثيفة توالدت وخيارات ساقها عن عمرٍ لم يناهز 23 سنة.



هو في الاصل وائل الجندي الملقّب بـ«أبو فاعور». لا علاقة للّقب بفورة الاحاديث المتداولة مؤخراً حول وزير الصحة. يقول أنّ هذا لقبه منذ ست سنوات، خلال عمله بالنجارة في مكتب لوليد جنبلاط في عاليه، حين ناداه أحدهم بـ«أبو فاعور» تيمّناً باسمه الاول. انتقل اللقب الى رفاق الحي الذين كتبوا اسمه هذا بالخط العريض على أحد جدران شارع سوريا التي لم يطمسها بعد الدهان الابيض والازرق الطارىء على الشارع بعد الخطة الامنية الاخيرة.

بدأت علاقته بالخشب منذ الطفولة. في تردده الى مدرسته في الزاهرية مشياً، راقب كيف يعملون في تلك المحلّة المزدحمة بالمناشر. يقف ويتفرّج، هكذا يومياً. كانت تلك الدقائق المتنفس الوحيد نحو الخارج «كانت أمّي تمنعني من النزول الى الشارع»، الى أن أذعن أهله سامحين له بمساعدة «المعلّم» في الاعطال. خلال الصيف الاول، كان يجني 10,000 ليرة لبنانية أسبوعيا. فرحَ ابن الـ 12 عاماً بهذا الراتب ولم يتبرّم من مهامه. يعبىء الحطب في الشوالات ويكنس الأرض، لكن عينيه بقيتا مصوبتين على ايدي العاملين «خلال ثلاثة أشهر تعلّمت نصف المصلحة».

رغم تميّزه، ظلّ يعمل بدوام جزئي. يمكن اعتبار حاله مناقضاً لغالبية أطفال التبانة الذين يتسربون من المدارس للعمل في الورش أو عتالين في الحوانيت. كان يدّخر راتبه لغاية لا يدركها تماماً. أهله يتعففون عن الاستعانة بهذا المورد رغم ضيق ذات اليد لعائلة تتألف من ربة منزل وأب يعمل بسيارة أجرة ليعيل أبناءه الخمسة.

عرف الحبّ باكراً أيضاً. يصف علاقاته العابرة مع الجنس الآخر بما يحدث مع «كل الشباب في مثل سنّي»، الى أن التقى فتاة أحبها بإصرار في بيت خالته. جهد أهلها لمنع هذه العلاقة التي لم تطل قبل عودتهم الى الكويت «لم يأخذوني على محمل الجد. كنت في السابعة عشرة آنذاك». هذا الموقف كان تحدياً آخر ليصبح «انساناً له أهمية» على حد تعبيره، وقطع عهداً لها ولنفسه «سنتزوج لو بقي يوم واحد في حياتي». تزامنت خيبته مع زواج أخيه الذي أضنى أبويه في مساعدته على استئجار بيت وفرشه «أصبحت مصراً على استقلاليتي المادية».

في صيف 2011، اتشحت التبانة بالسواد وتصاعدت تلاوات القرآن حزناً على وفاة «خضر المصري»، أحد القادة المحليين الذي قضى متأثراً بجروحه اثر حادث أمني «حين أبلغوني بوفاته كنت أخطط يافطات تدعو له بالشفاء. طلبت من الخطاط استبدالها برثاء وكان ذلك آخر ما أعيه قبل أن يغمى علي»، مضيفاً أنّ «خضر المصري» قائد بكل معنى الكلمة «بمجرّد النظر الينا يعرف ما بداخلنا. كان ذكياً وكريماً. يعطي نقوده للشحاذين والفقراء دون أن يترك شيئاً في جيبه».

بعد البكالوريا، لم يجتز امتحان الدخول للجامعة اللبنانية فقصد الجامعة اللبنانية الدولية لدراسة هندسة الديكور. ولهذه الغاية، أنفق كلّ ماله. اقتربت السنة الثانية دون أن يجمع وائل القسط المطلوب. أطلعه رفيقه على مؤسسة جديدة تعطي منحاً لشباب التبانة وبعل محسن. كان هذا التعريف السريع والمقتضب حافزاً ليتأكد من صحة الخبر. وبالفعل، بعد مثوله أمام لجنة فاحصة صار وائل من أقدم متطوعي مؤسسة «روّاد التنمية»، وهي مؤسسة اقليمية غير ربحية تعمل مع المجتمعات الساعية للتغلب على التهميش في الاردن ومصر وفلسطين ومؤخراً لبنان، من خلال التعليم والبرامج الشبابية التطوعية. وعلى عكس غالبية الجمعيات والمؤسسات الفاعلة ضمن طرابلس، تلتزم «رواد التنمية» الحياد السياسي والعمل المدني والعلمانية كسبيل للانفتاح على الجهات المختلفة في المجتمع، وصنع نواة شبابية لتغيير للوضع القائم. ترتكز على الدعم المادي يقدمه رياديون في قطاع الأعمال آمنوا بدعم روح المبادرة للنهوض بالمجتمع ولدحض عدم التكافؤ الإجتماعي في العالم العربي. وكشرط اجباري للحوز على المنحة، تطوع وائل- ولا يزل- في تنفيذ احد البرامج التابعة لروّاد من خلال ساعات الزامية كل اسبوع، الى جانب أكثر من 100 متطوع من بعل محسن والتبانة بالاضافة لأنشطة للتنوير الثقافي وتطوير المهارات العملية تنفّذ غالبيتها في مبنى واقع على شارع سوريا الذي يربط بين المنطقتين.

وائل الذي وسّع دائرته الاجتماعية في كل مكان، تعرّف الى مجموعة أخرى من المحلّة. يستمهل نفسه لايجاد الوصف الوافي، فيكتفي بالقول أنها مجموعة شباب عاديين، يلتقون بشيخ سلفي من التبانة عاد لتوه من أوستراليا. هذا الأخير خوّل «أبو فاعور» لرفع الأذان في مسجد عبد الله بن مسعود الملاصق لبيته. أحبّ المجموعة. ترافقوا في رحلة للعمرة جمعته بقائد أحد المحاور القتالية. هذا الأخير هو أخ «خضر» الذي فجع وائل لرحيله. في تلك المرحلة، كان الاستقرار مجرّد هدنة بين معركتين. جذبته الاحداث، خصوصاً أن القائد الجديد أحبّه وميزه «كان رفاقي يتغامزون حين أركب وراءه على الموتير. وثق بي بسرعة، جعلني أتكفل نجارة شقته بالكامل. قال لي: اصنع بها ما تشاء».

ذروة انخراطه يذكرها جيّداً، يتحدّث عن تلك المعركة ما قبل الاخيرة، وهو يعبث بكرتونة صغيرة ينتقها بين يديه. نزل وائل الى الميدان «تمترست مع الشباب في موقع مدشّم» معه بارودة اشتراها من مصروفه الخاص. يتابع «كان الهدوء مخيماً، الى أن انفجرت على الضفة الاخرى عبوة ناسفة قيل أنها حفرت فجوة. بدأ الجبل يطلق الرصاص عشوائياً». ندم وائل لأنه لم يستجب لتوسلات أهله الذين لم ينجحوا في ردعه عن النزول للشارع. «كذبة» يقولها وائل ويكررها «كل القتالات كانت كذبة. لا أعلم لماذا نزلت الى المعركة لكن ما أوقنه تماماً هو ادراكي المفاجىء أن كل القتال الدائر حولي كان كذبة. أنني كدت أموت بأبخس الاثمان».

كلّ تلك التقلبات لم تقطع توق وائل لتطوير عمله. بدأ بتعهّد أعمال نجارة خاصة، ينجزها في منشرة يستأجرها حسب الحاجة. أدرك أن احتكاكه بسوق العمل قيمة مضافة لزبائنه، فأنشأ مجموعة تضمّ الى جانبه الكهربجي ومعلم الالومنيوم والسنكري، يتعهدون شققاً كاملة بسعر أوفر ووقت أقل. ثم ما لبث أن اقترح على رفيقه أن يتشاركان بالمتاجرة في العمار، ليشتريا الاراضي ويبنيا العقارات «على دفتري الآن 25 قطعة أرض مسجلة. أدرس الكلفة، المربح، نسبة الاستثمار، أستشير السماسرة». أما في الوقت الراهن، عمال ورشته الخاصة يصنعون كل شيء بأيديهم لكنه يحرص على تركيب القطع بنفسه أو ما سميه بال finishing أمام الزبون. استلم شقشاً لمدير الجامعة وأساتذته، ويصف اليوم تجربته في «روّاد» بـ«هدية من السماء. بعض التدريبات وجلسات النصح دعمت لدي المبادرة لتوسيع مشاريعي ولكن بخطى مدروسة».

يتحدّث عن مشاريعه المنظورة بعينين لامعتين. تنتظر ليهدأ هذا التوهج فيشتدّ ليسأل متبسّماً «متى كان عيد المولد النبوي؟». يربط هذا التاريخ بيوم خطوبته على حبيبته. وائل طريّ العود فاجأ، بعد ست سنوات، أهلها الذين زاروا لبنان بـ«الاستاذ وائل» حسبما يناديه معارفه في كل مكان «ادركوا أنني غير قاصر عن تأسيس مستقبل. قالت لي أمها: لن أغادر لبنان قبل أن ترتديا المحابس».

يتأمّل وائل قليلاً قبل أن يردف «أصر على دراستي الجامعية لأنها بالدرجة الاولى أعطتني دعماً معنوياً. حين تكون خريج جامعة، نظرة المجتمع اليك تختلف. لدى مرورنا بحاجز للجيش، عرّف عني الجالس بجواري بـ«المهندس وائل»، وذلك أبعد عني التهمة أنني من أبناء التبانة».

ورغم كلّ شيء، وربّما، بسبب كلّ شيء، انتقلت اسرة وائل مؤخراً للسكن في الميناء، «أهلي يريدون الاطمئنان لناحيتي». لكن وائل لا يزل يتردد كل يوم الى منطقته «أعود الى الميناء فقط لأنام».

أكثر ما تزعجه أعين الزبائن المرتابة لسحنته الطفولية وعوده الرقيق. يسألونه عما اذا كان هو فعلاً صاحب الورشة الذي حدّثوه على الهاتف فيسارع بتقديم «بورتفوليو» لأعماله ويرجوهم بعدم الحكم على مظهره «مجتمعنا لا يثق بالشباب. لكنّني أتمنى من كل الشباب أن يجربوا القسوة ولا يعتمدوا على أهاليهم».

وباب التبانة هي مكوّن من مجتمع أكبر يفرط في تدليل أبنائه حسب وائل، الذي يستشف خصوصية واضحة لهذه المنطقة «التبانة اعتادت على الذل وأهلها راضون بذلك. لو يخرج الشباب من دائرتهم ليعملوا بأيديهم لعرفوا قيمة أنفسهم ولصار الوضع غير ما هو عليه الآن».



المسيرة الوطنية لحفظ السلم الأهلي، طرابلس، نيسان 2013

© نذير حلواني

طرابلس تحتاج إلى «الحُبّ»

سليم اللوزي

تتضارب الآراء حول نشاط المجتمع المدني في طرابلس، فهناك فئة تقول إن جمعيات هذا المجتمع تعمل بنشاط وحيوية مفرطة من أجل تحسين الوضع العام في المدينة، في ظل غياب الدولة والفعّاليات السياسية، إلاّ أن عملها يضيع في الهواء بسبب سوء التنظيم، باستثناء من «رحم ربّه». وفي المقابل هناك فئة تقول، إن هذه الجمعيات تجني ولا تنفق، ولا تغيّر مقدار ذرّة في الوضع. وثمة فئة ثالثة، تعتقد أن كلمة «مدني» تعني الزواج المدني، فهي ترفض هذه الجمعيات بالمطلق ، من دون أن تعلم أنها لا تعمل بالضرورة على إقرار قانون مدني، لا سيما في مدينة كطرابلس.

حسناً، سنعيد ترتيب ما سبق. في نقاش مطوّل مع مجموعة لا بأس بها من الناشطين الطرابلسيين، لاحظت أنهم جميعهم يسجّلون امتعاضاً من آلية عمل جمعيات المجتمع المدني في المدينة. ولأننا نحاول تسليط الضوء على أهمية هذا المجتمع، سأبدأ العرض بالجمعيات التي أشيد بعملها، كونها تعرف ماذا تريد، وتعمل على ما تريد بشكل واضح، وتستهدف الفئة المنويّ العمل معها بشكل صحيح، وترتّب أمورها بشكل يتناسب مع الجميع، لتحقق أهدافاً سريعة وتغيّراً فعليّاً، كالنشاطات التي تقوم بها جمعية «روّاد التنمية» -على سبيل المثال لا الحصر- والتي تستهدف سكان منطقتي النزاع، التبانة وجبل محسن، وتقدم لهم التدريبات اللازمة والمساعدات ودورات التعليم وغيرها من الأنشطة التي تساعدهم على الابتعاد عن أجواء الشحن الطائفي والعقائدي الذي يبسط رُحاه في المنطقة. وهنا لا يمكننا أن ننسى ما قدمته «حملة طرابلس خالية من السلاح»، التي طرحت رؤيا تعكس وجه المدينة الذي اعتاده أهلها، خالية من السلاح الذي أتعبها وأتعب ناسها، وحمّلها ما لا تحتمل.

يصوّر أحد الناشطين عمل إحدى الجمعيات بـ«البازاري»، لا سيما أن مدير هذه الجمعية استطاع أن يقدّم فرص عمل لعائلته فيها، وهو يعمل بشكل دؤوب على توظيف أكبر عدد من الاشخاص ذوي المنفعة الشخصية. كما أن عمل الجمعية يقتصر على النشاطات غير الواضحة، والتي لا تقدم لأهالي المدينة أي منفعة، لا على الصعيد الإنمائي، ولا على الصعيد الاجتماعي، ولا حتى على الصعيد الترفيهي.

وقد أجمع بعض الناشطين على أن سبب المشكلات التي تواجهها بعض الجمعيات، هي سوء الإدارة، وكثرة التمويل، لا سيما أن مدينة طرابلس ذات أرض خصبة، وأن المموّلين يغدقون المال بشراهة، إلا أن هذا التمويل يذهب في أنبوب صرف غير ذاك الذي يدير المنفعة على أهالي المنطقة، فتقتصر النشاطات على الفوضى، والمحسوبيّات، وتضييع الوقت.

إن طرابلس، التي تضم مناطق يعيش سكانها تحت خط الفقر، هي مدينة واضحة المعالم والحاجات. فأبناؤها، الذين يشتهرون بامتلاكهم حرف الأجداد، من صناعة الصابون إلى القش والنحاس والصوف والمأكولات الشرقية والخياطة والنسيج، يحتاجون إلى فرص عمل وأسواق لتصريف بضاعتهم، تلك البضاعة التي يصيبها الكساد في جميع المواسم، خصوصاً أن القتال في المنطقة فصلها عن محيطها، فسكن الخوف قلوب سكان المدن المجاورة، الذين كانوا يقصدونها لشراء حاجاتهم، حيث تقدم بضاعتها بأسعار زهيدة. فهي، كما عرفت دوماً، «بيّ الفقير».

وبحسب بعض الاحصاءات غير الرسمية، فإن معدلات البطالة في طرابلس مرتفعة بشكل كبير، وهي نوعان: موسميّة وطبيعيّة. وبالإضافة إلى البطالة، تتفشّى ظاهرة «التسرّب المدرسي»، لا سيما في الأحياء الشعبية، فارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، يدفعان بالعديد من الأسر إلى إبعاد أطفالهم عن المدارس وجعلهم عنصراً منتجاً بدل أن يكونوا عنصراً يحتاج إلى مصاريف ليتعلّم، في محاولة منهم لتأمين أقل متطلبات الحياة.

مما لا شك فيه أن طرابلس لا تحتاج إلى ماراتون يقصد منه الإنماء، ولا إلى ورشة عمل لإدارة المدخول المالي الذي غالباً لا يتوفر منه إلاّ القليل بعد أن تأكل منه الديون المتراكمة على الفرد، بل إن هذه المدينة تحتاج إلى إنماء عادل يغطي غياب البلدية التي يقتصر عملها على فتح مجاري الصرف الصحي في موسم الشتاء، وتمنع إعلاناً هنا، وتفرض رأياً هناك.

إن طرابلس تحتاج إلى حياة، حياة جديدة، تعيدها إلى صخبها المعهود. تحتاج إلى جمعيات تجيد توظيف خبرات أبنائها الذين هبّوا إلى ترميمها بعد كل تفجير إرهابي استهدفها...

طرابلس تحتاج إلى «الحُبّ».

إعدام نهر إسمه «أبو علي»؟!

صفوح المنجد

عندما سيطر السلطان المملوكي قلاوون على طرابلس، وحرّرها من الفرنجة في العام 1289، أمر بهدم هذه المدينة التي سبق أن أقامها الفينيقيون نحو الألف الثالث قبل الميلاد على شاطىء البحر كعاصمة للمدن الفينيقية: صيدا وصور وأرواد، وطلب إعادة بنائها في الداخل عند ضفتي نهر «أبي علي» على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من الشاطىء، ليؤمّن حمايتها من الغزوات البحرية.





ونهر «أبو علي» هو في الواقع نهر قاديشا الذي ينبع من هضاب جبال الأرز، ويكتسب إسمه من وادي القديسين، أما لقبه الجديد فيكتسبه ما ان يدخل المدينة وصولاً إلى مصبه عند البحر، وربما نال هذا اللقب من إسم أحد قادة بني عمّار الذين حكموا طرابلس في أواخر القرن العاشر.

وقد راعى المماليك في بناء طرابلس التنظيمات التي سبق أن اعتمدوها في تشييد القاهرة، فعلى امتداد ضفتي النهر أقاموا الأسواق المتخصّصة، وراعوا في ذلك عدم اختلاط البضائع والسلع، كسوق الصاغة أو الذهب، وأسواق العطّارين والنحّاسين والفحّامين واللّحامين، والأسواق الخاصة بالنجارة وبيع الملابس والمفروشات المنزلية والأحذية (الكندرجيّة).. ولا تزال ملامح بعضها قائمة إلى اليوم.

وتطلّ على هذه الأسواق مبانٍ متعددة منها المساجد، وإلى جوارها أسبلة المياه والتكايا والمدارس التي يتم فيها تدريس العلوم الدينية واللغة والحساب، وعلى مقربة منها الحمامات الشعبية والخانات لإيواء النزلاء ودوابهم، إلى ما هنالك من منشآت وبنى تحتية.

وإذا كانت هذه الأسواق قد أقيمت في خط شبه مستقيم، فإن الأبنية والحارات السكنية التي تم تشييدها خلفها كانت طرقاتها عبارة عن «زواريب ضيقة» دون المتر أو المترين تقريباً، وهي منحنية للحؤول دون تمكّن الحملات العسكرية من الدخول إليها، في حين كانت أبواب المنازل غير متقابلة لمنع الإنكشاف أمام أعيُن الجيران، كما كانت هذه الأبواب منخفضة لمنع الجنود من الدخول عبرها بأحصنتهم ودوابهم.

وطرابلس التي كانت تعتبر المدينة المملوكية الثانية بعد القاهرة، تم تحصينها بسبعة أبواب تغلق عند المغيب، ويعاد فتحها بُعيد الفجر، وكانت الأبنية متجاورة ولا تعلو أكثر من طبقة أو طبقتين، والأسواق مسقوفة بألواح خشبية، وكان بالإمكان الإنتقال من أول المدينة إلى آخرها عن طريق الأسطُح العليا.

وقد استفاد الطرابلسيون من نهر «أبو علي» لتأمين مياه الشرب، ولغسل أغراضهم، ولتحريك دواليب الطواحين الحجرية. ونشأ على ضفتي النهر المجتمع الطرابلسي في مراحل تكوينه الأولى، واعتبر السوق ذكورياً بامتياز، أما الحيّز المنزلي فكان نسائياً بامتياز أيضاً، وانسحب ذلك على المقاهي الشعبية التي أقيمت عند زوايا بعض الأسواق والحارات، واقتصر زبائنها على الذكور من كهول وشبان، وكان مشهداً مستغرباً عندما تقصد إحدى النساء المقهى لتسأل عن زوجها أو أخيها فتقف خارجاً والمنديل يغطي كامل وجهها، وتطلب من أحد المارة أن يسأل عن فلان في الداخل ويستدعيه إلى الخارج. وكم كان الرجل يشعر بالإحراج أمام روّاد المقهى، لأن الحديث مع النساء في الطريق غير مستحب!

أما الحمّامات الشعبية فكان لها دوام آخر، حيث خصّصت فترة الصباح للنساء، وفترة بعد الظهر والمساء للرجال والذكور من الأطفال، وتمت مراعاة ذلك التقسيم عند قيام دور السينما والمسارح مع بداية القرن العشرين، حيث تم تخصيص أماكن للعائلات في الصالات بعيداً عن أعين الذكور.

> **«أبو علي» كان يتمرد أحياناً على الواقع، ويعبّر عن غضبه بـ«طوفة» (فيضان) من وقت إلى آخر، وربما مرة كلّ عشر سنوات، كان آخرها في نهاية العام 1955 بعد ليلة ماطرة اجتاحت المياه الغزيرة الجسور بعدما سدّت الأتربة والوحول أقنية تصريف المياه**

ولطالما شكّل نهر «أبو علي» مكاناً لأهل المدينة كي يروّحوا عن أنفسهم فيقصدوا أماكن معينة مع عائلاتهم، سواء «المرجة» عند نقطة دخول النهر إلى المدينة، أم منطقة برج رأس النهر عند مصبّه، لتمضية أيام العطلة والأعياد و«سيران» شهر رمضان، وهم يحضرون معهم مأكلهم ومشربهم و«أراكيلهم»، ويقيمون حفلات الشواء والغناء.

ويبدو أن «أبو علي» كان يتمرد أحياناً على هذا الواقع، ويعبّر عن غضبه بـ«طوفة» (فيضان) من وقت إلى آخر، وربما مرة كلّ عشر سنوات، كان آخرها في نهاية العام 1955 بعد ليلة ماطرة اجتاحت المياه الغزيرة الجسور بعدما سدّت الأتربة والوحول أقنية تصريف المياه، وتدفقت السيول جارفة الأسواق والأبنية، ونجم عن ذلك سقوط أكثر من 120 ضحية، وتهدُّم 60 منزلاً و500 دكان.

في مطلع ستينات القرن الماضي، وفي أعقاب أحداث العام 1958، عمدت الدولة إلى تنفيذ ما سمّي بـ«مشروع نهر أبو علي» الذي قضى بشق طريق على طول مجرى النهر بعرض 60 متراً. وترافق ذلك مع هدم مساحات واسعة من الأبنية القائمة عند تلّتي أبي سمراء والقبّة المشرفتن على النهر، وتشويه المنظر الخلاّب لتدرج هذه الأبنية صعوداً من ضفة النهر إلى أعلى التلّتين، وكذلك إزالة أسواق بكاملها في حارات بعيدة عن مجرى النهر كسوق النحّاسين، وقيل يومها إن البعض استغل «الطوفة» لشقّ الطرقات ومنع أي عصيان في الحارات الشعبية بالرغم من تهديم واندثار العشرات من الآثار والمواقع التراثية التي تمتاز بها المدينة القديمة.

وما زاد الطين بلّة عملية التشويه التي لحقت بالمنطقة مع تنفيذ ما سمّي بمشروع «الإرث الثقافي» الذي قضى من خلال أعماله الإنشائية على المجتمع الإنساني الذي قام عند ضفتَيْ النهر منذ نشأة المدينة إلى اليوم، وأغرق الحيّز الجغرافي للنهر بالإشكالات في محاولة لإعدامه وتحويله إلى مجرد قناة مغلقة مسقوفة. والمؤلم في هذا المشروع ما يشير إلى أن من ضروريات سقف النهر دوافع جماليّة؟!

صباح ومسا



© السوق القديم، مطعم عكرا، الصورة من الكتاب الذي أصدرته جامعة البلمند في العام 2011 بعنوان "طرابلس، مدينة كل العصور".

فتون رعد

يقال إن لا روح بالمفرد، بل هي أرواح عدة نراكمها عبر الوقت، ونجمعها في أجسادنا التي تغدو سجوناً تفيض بها، فتقضي حياتها وهي تبحث عن الخلاص. أما نحن فنبحث بتحركاتنا عن متنفس لها خوفاً من أن تخنقنا بحزنها.

يمكن لجميع هذه الأرواح أن تجد متنفساً لها في طرابلس، حيث يتسنى لكل زائر أن يسكب روحاً منه في مكان يلائمها، وعندما يترك المكان يكون قد أزال عنه بعضاً من ثِقل.

من هنا، فإن التفجيرين الأخيرين اللذين وقعا في «جبل محسن»، واستهدفا مقهيَي «عمران» و«المجذوب»، حصدا عدداً لا يُحصى بالأرقام من الأرواح، لا سيما أن شباباً من كل طرابلس، وحتى من «باب التبانة»، يقصدونهما.

مقهى «عمران» من أقدم مقاهي «الجبل»، ويقول روّاده إنه يقدّم أطيب النراجيل. وقد ازداد عدد هؤلاء الروّاد بعد المصالحة التي جرت بين «جبل محسن» و«باب التبانة».

هاتان المنطقتان شهدتا اشتباكات متكررة، جعلت من لا يعرفون طرابلس جيداً، يترددون في زيارتها. أما الواقع فهو أنه في عزّ المعارك كانت تستمر الحياة بشكل شبه طبيعي في سائر أنحاء المدينة. أصوات القذائف والرصاص كانت تعلو على أصوات قرقعة النراجيل، ومع ذلك كان الناس يحاولون التغاضي عما يدور حولهم من موت ازدادت بشاعته عندما أصبح اعتيادياً. على سبيل المثال، كان شارع الضم والفرز يتميّز بتواصل الحركة فيه ليلاً ونهاراً. والمنطقة التي كانت حتى أواخر الثمانينيات بساتين مترامية الأطراف، انتشرت، على طولها الممتد من دوّار «السلام» إلى دوّار «النيني» إضافة إلى متفرعاتها، المطاعم والمقاهي كالهشيم في النار. لكن هذه النقاط ليست مقاصد لجميع الطرابلسيين بسبب أسعارها المرتفعة من جهة، وتناسخ ديكورات العديد منها من جهة أخرى. وهذا الديكور لم يهتم به كثيراً كشك «أبو مشهور» المتمركز إلى جانب دوّار «السلام» باتجاه بيروت. منه، يتناول أهالي المدينة كوب الإسبرسّو أو النسكافيه بأسعار بخسة، قبل الانطلاق إلى أعمالهم خارج المدينة.

مقاهي ومطاعم الضم والفرز أخذت الوهج من شارع طريق الميناء، أو ما يصطلح على تسميته الشباب الطرابلسيون «شارع الكزدورة». التسعينيات والسنوات الأولى التي تلت عام ألفين شكّلت «العصر الذهبي» لشارع الكزدورة. وما إن ينتهي الطلاب من دراستهم حتى يقصدوا هذه المقاهي. يمتزجون في بعضها مع كبار السن، ويستأثرون ببعضها الآخر، كما يعتمدون بعضها الهادئ أماكن للدرس.

باتجاه الميناء التي تُعدُّ خارج طرابلس، على الرغم من كونها ضمن اتحاد بلديات الفيحاء، يزيد البحر من بلادة السارحين فيه. ومقاهي الصيادين تعبق برائحة تعبهم وأخبارهم التي لا تنتهي. يسردون القصص عن بطولاتهم الوهمية. يعرفون أن المنصت قد لا يصدّقهم ولكنه يستمتع بطريقة سردهم المشوّقة، وبعيونهم التي تزيد بشرتهم السمراء من بروز لمعانها.

في أزقة الميناء القديمة الضيّقة، حيث منع دخول السيارات، شارع إسمه «مينو». الصخب كان يملأه حين كان عدد الملاهي الليلية فيه نحو 17 ملهى، إضافة إلى 6 مطاعم تقدّم الكحول. أما اليوم فانخفض العدد إلى ستة ملاهٍ ومطعم واحد يقدّم الكحول، وذلك بعدما أُغلق بعضها أبوابه إن كان لأسباب شخصية أو اقتصادية، وإن كان بسبب سياسة «تطفيش» اعتمدت في فترة معيّنة.

الميناء، رغم كل شيء، حافظت على روحها الشعبية. وهي نفسها الروح التي تشم رائحتها من رئتي طرابلس، أي الأسواق الداخلية وشارع «عزمي». فعلى إشارة «عزمي» مقهى «البينكي» لا يزال يستقبل الروّاد أنفسهم، من صحافيين، فنانين، حزبيين سابقين وحاليين، لم يغيّروا عادتهم بقضاء فترة قبل الظهر فيه منذ ثلاثين عاماً. بعضهم اكتسح الشيب رأسه، وبعضهم حرص على أن يصبغ شعره بانتظام. وبالنسبة إليهم، لا بديل عن الصحف الورقية مع فنجان القهوة التركية، التي تزوّدهم بالمواد الساخنة للنقاشات السياسية.

تجاور «البينكي» منطقة «التل» أو وسط البلد، حيث خواص هذه المدينة المتعبة من القهر. منطقة أعطت إسمها إلى أحد مقاهيها الشهيرة: «التل العليا». كذلك، فهي تضم مقهى «فهيم» الذي يقال إنه ثاني أقدم مقهى في الشرق الأوسط. وفيه، ضحكات العجائز المتحلّقين حول طاولات الورق تنبض حيوية، ولا مبالاة بالحياة في الخارج.

ومن «فهيم» إلى «موسى» في «باب الرمل»، ذلك المقهى الذي لا ينام، والذي يتحوّل في شهر رمضان تحديداً إلى واحد من أجمل أماكن السهر حتى طلوع الفجر، حيث تعبق رائحة الكعكة الطرابلسية الألذ في وقت السحور.

في حبل السرة بين الـ «مون ميشال» وقبّة النصر



طلال خوجة

بقيت تساؤلات بعض النخب ترنّ في أذني حول صوابيّة اختيار موقع الـ «مون ميشال» المتاخم للبحصاص، والواقع على مدخل الكورة الخضراء، كمكان لتشييد المدينة الجامعية، لجهة تداعيات انتقال فروع الجامعة اللبنانية من القبة إليها.

جاء اختيار الموقع نتيجة التداول مع رئيس الحكومة رفيق الحريري والرئيس إميل لحود ولجنة المتابعة الواسعة التمثيل نقابياً وأكاديمياً، والتي تشكلت كنتيجة لانتفاضة العلوم، وأدت إلى إعادة إطلاق مشروع البناء الجامعي الموحّد الذي شكل رافعة للمجتمع المدني الشمالي، فأقيمت اللقاءات والندوات والمؤتمرات، وتوحد حوله مجمل الأطياف والفعّاليات الطرابلسية والشمالية، رغم انقساماتها الواسعة. ومع أن البعض حاول تثمير الإنجازات فئوياً، إلاّ أن لجنة المتابعة استطاعت تجاوز كل الصعوبات، بما فيها زلزال الاغتيالات، و خسارة الداعم الرئيسي، ودخول البلد عموماً وطرابلس خصوصاً، مرحلة من العنف والفوضى.

لقد هدف اختيار الـ«مون ميشال» إلى إعادة ثقة كل الشماليين من كل الأطياف، بما فيها ثقة الطرابلسيين أيضاً، بالفروع الشمالية التي تمذهبت طلابياً بنسبة كبيرة، ومع أننا نقر ببعض التداعيات الاجتماعية والاقتصادية على منطقة القبة، إلاّ أننا نسجل الملاحظات التالية:

أولاً: لم تستطع الفروع المفككة إيجاد حيّز إقتصادي واسع، إذ اقتصر التأثير على انتشار بعض مقاهي «البلاستيك» ومحال للتصوير والتجليد ولبيع المقررات.

ثانياً: لم يكن ممكناً تحويل الكليات المبعثرة في القبة صرحاً أكاديمياً موحّداً يستطيع تكوين مناخ مختلف يؤدي إلى تحوّلات اجتماعية واقتصادية مؤثرة.

ثالثاً: إن بناء مدينة جامعية في الـ«مون ميشال» يسهل الوصول إليها من كل الأقضية، بما فيها بلاد جبيل، سيكون له تداعيات إقتصادية وإجتماعية وتوحيدية على طرابلس وعموم الشمال، خصوصاً إذا أنشأنا مركز الأبحاث والتكنولوجيا، ذلك أن طرابلس ستستفيد من موقع الألياف البحرية، ما يساعد شركات التكنولوجيا الناعمة كما شركات الأدوية ومواد التجميل.

كذلك سيطرح هذا البناء قضية استقلالية الفروع الشمالية والتي تكاد تختنق من مركزية شديدة وقاصرة.

لم نكد نحقق بعض الإنجازات في الـ«مون ميشال» كنقل ملكية الموقع وتوسيعه باستملاكات أخرى، وإنجاز دراسات الكليات الثمان في ربيع العام 2004 حتى خرجت فكرة بوزار إلى النور، وهذه الفكرة بدأت على أساس ترميم جدار كلية العلوم المتداعي في القبة و إنجاز جداريات عليه، كتحية للكلية الرائدة أولاً وللمنطقة ثانياً، خصوصاً أنها تحتل حالياً الموقع الذي كان مركزاً لقيادة الجيش الفرنسي ثم مهنية pere blanc، ثم احتلته القوات السورية في بداية انتشارها في أعقاب حرب السنتين، قبل أن تبدأ كلية العلوم بقضمه ومن ثم إشغاله كاملاً.

تجدر الإشارة إلى أن أطراف تلك المنطقة شكلت خطوط تماس في بداية الحرب الأهلية، وتمدد جزء من هذه الخطوط مع نشوء مشكلة باب التبانة- بعل محسن وتصاعدها.

> «لقد هدف اختيار الـ «مون ميشال» إلى إعادة ثقة كل الشماليين من كل الأطياف، بما فيها ثقة الطرابلسيين أيضاً، بالفروع الشمالية التي تمذهبت طلابياً بنسبة كبيرة، ومع أننا نقر ببعض التداعيات الاجتماعية والاقتصادية على منطقة القبة»

استقطب «جدار بوزار» أبرز الرسامين والنحاتين من لبنان وخارجه، حيث عملوا سنوات على إنجاز هذا الجدار المتميّز، كما أقيم في المكان نصب بوزار للتواصل الثقافي والإجتماعي.

وقد أطلقت «حركة بوزار» موجة تحديثية وفنية كبيرة في المدينة، خصوصاً بعد اغتيال الرئيس الحريري وانتفاضة الأرز، وبادرت بحملة ترميم كلية العلوم والبنايات المقابلة، كما انعكست حركة الترميم على معهد طرابلس الفني ومجمع الآداب والحقوق، وقام أصحاب المقاهي بتحديث مقاهيهم بما يليق بشارعهم الذي لبس مع «حركة بوزار» حلّة مميزة، فشعر الأهالي ببعض الأمل. ونطرح الآن تحويل مباني العلوم إلى مركز إنمائي وثقافي يحتضن المنطقة التي ما زالت تضم تنوعاً يلخص العائلة الشمالية إلى حد كبير، وهذا لا يتم بدون التعاون مع الفرنسيين مالكي المكان وربما الأمم المتحدة، فضلاً عن البلدية والجامعة ومؤسسات رسمية ومدنية كثيرة، كما أن الشارع يضم مؤسسات مهمة وهو شريان رئيسي في المدينة التي كادت تصبح مدناً عديدة في السنوات القاسية الأخيرة، ما يعني أن الشارع يمكن أن يلعب دوراً في لملمة أجزائها، الفقيرة منها خصوصاً، كما في تحسين تواصلها مع بعض أقضيتها.

ولم يقتصر انعكاس «حركة بوزار» على منطقة القبة فقط بل امتد إلى طرابلس وبعض الشمال حتى «أصبح لكل شارع جداره و لكل قرية بوزارها». كما أن بوزار تحولت إلى جمعية مدنية وتمدّدت في أماكن مختلفة، وتعاونت مع مؤسسات وجمعيات وناشطي المجتمع المدني المتعدد لمواجهة العنف والمطالبة بالاستقرار الأمني، وإنجاز المشاريع الإنمائية والإقتصادية، خصوصاً التي تنتج فرص عمل.

طرابلس: لا استهانة... ولا استكانة

استخدمت هذين التعبيرين (الاستهانة والاستكانة) لوصف وضع مدينة طرابلس، في كلمتي التي ألقيتها في حفل إطلاق تقرير دراسة الفقر الحضري، في غرفة التجارة الصناعة والزراعة يوم العاشر من كانون الثاني 2015.

لم يكن هذا الانطباع وليد اللحظة، ولا هو تعبير انفعالي، فقد عشت تفاصيل مشاكل المدينة على امتداد عقود، مواطناً وناشطاً في الشأن العام السياسي والاجتماعي والحقوقي – المهني، قبل أن اتحمّل مسؤوليتي الحكومية. وهذا الانتقال لم يغيّر من قناعاتي السابقة، لا بل أكد الصورة التي كوّنتها خلال العقود السابقة.

لقد عانت طرابلس المدينة، ومعها محافظة الشمال – عكار، من الحرمان والتهميش المزمنين، وهو ما أدى إلى تضاؤل وزنها في الحياة السياسية العامة، مقارنة بباقي المناطق اللبنانية. فالحياة السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية في لبنان تتميّز بدرجة عالية من المركزية، منذ الاستقلال، وهذا هو السبب الأول للمشكلات المزمنة والمتفاقمة التي تعاني منها المدينة اليوم. أضف إلى ذلك، أنها تحولت منذ الثمانينيات من القرن الماضي، إلى ساحة لمواجهات مسلحة وتوترات أمنية، تعاقبت فيها المراحل، وتبدلت فيها الأطراف المشاركة، إلاّ أن ساحتها واحدة، كما وقودها وضحاياها. هذا هو الوجه الأول للمشكلة المتمثّل في الاستهانة والاستباحة، إلاّ أن الصورة لا تكتمل ما لم نلحظ الوجه الثاني المكمّل، والمتمثّل في ظاهرة الاستكانة اللافتة لقوى المدينة الحيّة، وقياداتها، وفعالياتها، وحتى مواطنيها، إزاء هذا الوضع الشاذ.

لقد بدا أن طرابلس فقدت حيويتها الداخلية، وفقدت قدرتها على رفع الصوت والمطالبة القوية بالحقوق، وبدت غير قادرة على استعادة تجاربها المشرقة في حقبات سابقة، حين سدّت فراغ غياب الدولة ومؤسساتها في المراحل الأكثر صعوبة من الحرب الأهلية، من دون أن تجنح ولو لحظة واحدة نحو الخروج على الدولة ومؤسساتها. وهذه مفارقة تظهر التناقض الشديد بين واقعها ومزاج أهلها المتمسك بقوة بفكرة الدولة، وبين تلك الصورة التي صوّرتها مدينة خارجة على الدولة وعلى القانون.

إن عدم قدرة أهل طرابلس على الانتظام الفعّال للتعبير عن أنفسهم، والدفاع عن مصالح مدينتهم، من أجل القضية الصحيحة وبالوسائل الصحيحة، قد ولّد فراغاً استغلته جماعات أسقطت على المدينة أنماط تفكيرها وسلوكها ومشاريعها التي لا تشبه جوهرها.

إن وجودي في موقع المسؤولية الرسمية اليوم جعلني أتيقن من هذه الحقائق، وكشف لي عن تفاصيل أخرى ما كان لي أن أراها بهذا الوضوح لو لم أكن في هذا الموقع. وموقعي الحالي يرتب عليّ مسؤولية السعي لإزالة هذا الحرمان أو التهميش، أو الحد منه على الأقل... وفي هذا السياق، بذلنا – زملائي في الحكومة وأنا – جهداً كبيراً من أجل انتزاع بعض من حقوق المدينة الموعودة منذ سنوات، لكن ذلك لا يكفي ما لم ننجح معاً من أجل إعادة إطلاق ديناميّات التنمية الشاملة فيها.

نقول ذلك، فيما نعمل كوزارة، مع شركاء آخرين، على بلوة تصوّر لخطة تنمية متكاملة لمدينة طرابلس، وتوفير كل الشروط لحمايتها ونجاحها، وهو ما يشكّل فرصةً للنهوض باقتصاد لبنان كله، واستعادة النمو ومسار التنمية الشاملة فيه.

رشيد درباس

وزير الشؤون الاجتماعية في لبنان



غرافيتي: علي رافعي - جدارية «المتسول» - الميناء - طرابلس - 2012

وحدة الكلمة بين العائلات الروحية

«أدعو الدولة إلى تفعيل المنطقة الاقتصادية الحرة، والإفراج عن المراسيم المرتبطة بتشكيل مجلس إدارتها، وكذلك تفعيل المرفأ ومعرض الرئيس الشهيد رشيد كرامي الدولي، وهي مرافق اقتصادية حيوية تساعد على تثبيت على الخطة الأمنية وعلى تفعيل الإنماء. وأتمنى أن تفي الدولة بوعودها في استيعاب ما لا يقل عن 1000 شاب في المؤسسات العسكرية. وأقول هنا إن المشكلة ليست دينية ولا طائفية ولا مذهبية، بل تكمن في الفقر والبطالة وعدم وجود فرص عمل. كما أتمنى على الدولة أن تدرج طرابلس في قائمة السياحة لأنها مدينة تكتنز مئات المعالم الأثرية».

المفتي مالك الشعار

«إذا عدنا بالذاكرة إلى الأيام الخوالي، نستعيد الدور المهم للمعامل (الهنغارات) على مدخل طرابلس، فقد كانت توظّف ما يقارب العشرة آلاف عامل. أنظروا إليها اليوم كيف تسرح فيها الجراذين. كذلك الأمر بالنسبة إلى محطة تكرير البترول. فالشباب اليوم من دون وظيفة، ينتظرون الإعالة من السياسيين، وهؤلاء يدفعونهم إلى القتال، عوضاً عن أن يستثمروا الأموال في مشاريع تنموية».

المطران جورج أبو جودة

«نشدد دائماً في لقاءاتنا مع رجال الدين على نقطتين أساسيتين هما: بسط الأمن، إذ إن ازدهار الاقتصاد يرتبط مباشرةً بالاستقرار، والحاجة إلى مكافحة الفقر المستشري. فقراء الجبل وباب التبانة التقوا بمجرد زوال اليد الغريبة التي غذّت التطرف بينهم. والمظاهر التي نراها اليوم من تطرف وعنف لا تمت إلى الإسلام بصلة».

المطران افرام كيرياكوس

«طرابلس هي المدينة التي يجب أن نحافظ على تاريخها وأصالتها وعروبتها، وأن نطالب المسؤولين الكرام بالعمل على تنميتها المتوازنة مع الشمال المحروم كافة، وأن نحرص على مادة التربية والتعليم لتوجيه الناشئة ودفعهم إلى محبّة الوطن والطوائف الأخرى على مختلف المشارب والمذاهب، ونشدّد على ضرورة الحفاظ على جيشنا الباسل والقوى الأمنية ومرافق الدولة العامة، لنكون قدوة الشعوب التي تزرع وتصنع وتأكل من إنتاجها. فيا أبناء طرابلس الأعزاء، الوطن أمانة في أعناق رجال ونساء لبنان، ومن لا وطن له لا كرامة له، وقد خلقنا الله في عائلة واحدة تسمّى العائلة اللبنانية».

الشيخ الدكتور أسد عاصي

يعمل «مشروع بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي منذ العام 2007 على تعزيز التفاهم المتبادل والتماسك الإجتماعي بطريقة تشاركيّة مع الشباب والمدرسين ووسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى المجالس البلدية والإختيارية والقيادات المحلية. واستجابة لإنعكاسات أثر الأزمة السورية على المجتمعات اللبنانية المضيفة ومن أجل تخفيف حدّة التوترات المتزايدة حديثاً في البلاد، يعمل المشروع على تعزيز قدرات مختلف فئات المجتمع من قيادت محلية ومدرسين وإعلاميين ومجتمع مدني، على إدارة هذه الأزمة وبناء السلام والتعامل اللاعنفي مع النزاعات ومساندتهم من أجل تطوير إستراتيجيات بناء سلام متوسطة وطويلة الأمد.

UNDP Lebanon Find us on: facebook

تصميم وتنفيذ: عمر حرقوص، حسان يوسف
خط: طرابلس خليل ماجد

يعتبر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي شبكة التنمية العالمية التابعة للأمم المتحدة وهو يدعو إلى التغيير وإلى تحقيق نفاذ البلدان إلى المعرفة والخبرة والموارد من أجل مساعدة الشعوب على التمتع بحياة أفضل.

لمزيد من المعلومات
مشروع بناء السلام في لبنان التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي،
مبنى البنك العربي الإفريقي الدولي
شارع رياض الصلح - النجمة، بيروت - لبنان،
هاتف: 980583 - 01 / 119160 - 70
www.lb.undp.org